جورج موستاكى:
اخترت مصر لأحتفل فيها بعيد ميلادى!

فــى مثل هذا الشــهر من عام ٢٠٠٤م حضر إلى مصر المطرب الفرنســى الكبير جورج موســتاكى، جاء من تلقاء نفســه لا لسبب إلا لأنه كان يرغب فى قضاء عيد ميلاده الـ ٧١ فى البلد الذى ولد فيه عن أبوين يونانيين والذى أمضى فيه طفولته وبعض ســنوات شبابه فى مدينة الإســكندرية إلــى أن قرر الرحيل إلى عاصمة النــور باريس بحثا عن مكان فى سمائها المليئة بالنجوم الساطعة.

كنت قد قابلت موســتاكى لأول مرة عام ١٩٦٩م حين نالت أغنيته الشهيرة (المتشرد) Le Meteque شهرة طاغية جعلت منه بين يوم وليلة أحد أكبر الأسماء فى عالم الأغنية الفرنسية، ولم يكن هذا هو أول عهد موستاكى بالأغنية فقد أمضى بضع سنوات قبل ذلك يكتب الأغانى، فلحن الكثير من الأغنيات الناجحة لأشهر المطربين الفرنسيين والذين كان على رأسهم أم كلثوم الأغنية الفرنسية إديت بياف وإيف مونتان ودواليدا وباربارا وغيرهم، وقد كان يعرف فى ذلك الوقت باســم جو موستاكى اختصارا لاسمه الحقيقى وهو جوزيف موستاكى، ولست أعرف كيف تحول اسمه من جوزيف (أو جيو سبى كما هو فى الأصل) إلى جورج، ففى كل مرة أقابله كنت أنوى ســؤاله عن ذلك لكن الحديث كان يأخذنا إلى مسارات أخرى فى اتجاهات الريح الأربعة مثل شعر رأسه المرسل والذى وصفه فى أغنيته الشهيرة (المتشرد) بأنه يذهب فى اتجاهات الريح الأربعة.

وعلى مائدة فى مقهى صغير بالحى اللاتينى بباريس، حى الفنانين والمثقفين، تحدثنا عن المطربين والكتاب الذين ولدوا فى مصر ولمع نجمهم فى فرنسا مثل داليدا التى ولدت فى حى شــبرا بالقاهرة وكان اســمها الأصلى يولندا جيليوتى وكلود فرنســوا الذى ولد فى الإســماعيلية حيث كان والده يعمل مرشــدا فى قناة السويس، أما فى مجال الأدب فهناك الكاتــب ألبير قصيرى الذى احتفلت فرنســا هذا العام ببلوغه الثمانيــن والكاتبة الروائية أندرية شديد والصحفى والروائى روبير سوليه.

وقال لى موســتاكى: أنا لم أكن أعرف داليدا فى مصر ولا كلود فرانسوا لكنى عرفتهما هنا فى باريس، وقد وحدت مصر بيننا فصار هناك رباط خاص يجمعنا، وأذكر أننى حين

قابلت داليدا لأول مرة أحسست بأننى كنت أعرفها من قبل، وحين صارحتها بذلك قالت لى أنها شعرت بنفس الإحساس، وكأن هناك ذكريات مشتركة فيما بيننا.

وسألت موستاكى: ما هى قصة العلاقة التى جمعت بينك وبين إديت بياف؛ لقد كتبت لها واحدة من أجمل أغانيها وهى (الغجرى والفتاة) وتردد أنه كانت بينكما قصة حب.

قال بكل بساطة: لقد كانت نزوة من جانب أديت لم أستطع التجاوب معها، لكنها سرعان مازالت وبقيت بيننا علاقة قوية من الصداقة والأخوة التى استمرت حتى رحيلها فى الستينيات.

قلت: وعن علاقتك بمصر؟

قال: تلك قصة حب فعلية فكل من عاش فى مصر لا يمكن أن يبرأ من حبها، أهو ماء النيل أم تراب أرضها أم نسيمها العليل؟ لست أعرف، كل ما أعرف هو أن مصر ليست كسائر الدول وأننى لا أستطيع أن أنفصل عنها مهما طالت السنون.

ولقد كانت هذه العلاقة القوية، هى التى دفعت موستاكى بعد ذلك بسنوات أن يتبرع بالغناء فى الحفل الخيرى الكبير الذى أقيم فى اليونسكو بباريس عام ١٩٩٢م لصالح ضحايا الزلزال الذى شهدته مصر فى ذلك الوقت.

ولقد دعوت جورج موستاكى فى العام التالى مباشرة لحضور حفل افتتاح جريدة (الأهرام إبدو) التى شرفت بتأسيسها مع الزملاء العاملين بها الآن حيث أقيم حفل استقبال كبير بأحد الفنادق الكبرى فى القاهرة حضره عدد كبير من الشخصيات المصرية والدولية وكان نجم هذا الحفل هو ابن مصر جورج موستاكى الذى ألقى كلمة مؤثرة قال فيها إنه يحرص على متابعة أخبار مصر يوميا من خلال وسائل الإعلام الفرنسية لكنه كان دائما يود لو كان باستطاعته أن يستقى أخباره عن مصر من مصادرها الأصلية، لكن اللغة كانت تقف حائلا بينه وبين قراءة الصحف المصرية، أما الآن فقد أصبح بإمكانه أن يتابع أخبار مصر أولا بأول باللغة الفرنسية من خلال (الأهرام إبدو) وهكذا كان أول اشتراك فى الجريدة لجورج موستاكى والذى أصر على دفع قيمته لكننا قررنا أن يكون اشتراكا مجانيا. وحين قابلت موستاكى للمرة الثالثة فى عام ٢٠٠٤م كانت قد مرت عشر سنوات على تأسيس (الأهرام إبدو) ولم أكن قد قابلته منذ ذلك اللقاء الأخير فبادرنى بالقول: لقد تغيرت كثيرا.. قد كان لك شعر غزير – قلت: أما أنت فلم تتغير قط، فمازال شعرك المسدل يطير فى اتجاهات الريح الأربعة ومازال شعر ذقنك كثيفا، قال: المرء فى سنى هذه لا يتغير كثيرا.

قلت: ما الذى أتى بك هذه المرة؟

قـال: جئت أبحث عن أصدقائى القدامى لعلى أجد منهم من أمضى معه عيد ميلادى الـ ٧١ إن لى أصدقاء كثيرين فى فرنسـا لكنـى أبحث عن أصدقائى القدامى، إن بعضهم فـى مصر والبعض الآخر غادرها إلى دول أخرى، وقد أصبح من بين هواياتى الآن البحث عنهم، فأنا ممن يقدسـون العلاقات الإنسانية وأميل إلى الحياة البسيطة، وكثيرا ما أسافر مـن بلدة إلـى أخرى على دراجتى البخاريـة بحثا عن العلاقات الحقيقيـة فأنا أنفر من العلاقات التى أشعر فيها أن الطرف الآخر يستهويه اسمى أو شهرتى وليس شخصى.

وجورج موسـتاكى فنان متعدد المواهب، فإلى جانب حبه الأول وهو الموسـيقى، فهو يكتب ويرسم أيضا، يكتب أشعار أغانيه كما ألف الكتب أيضا والتى كان من بينها سيرته الذاتية التى أسـماها (فتيات الذاكرة) وصدرت عام ١٩٨٩م، كما كتب أيضا رواية بعنوان (شارع الجزارين الصغار) صدرت عام ٢٠٠١م وحين صدر كتاب يضم كلمات أغنياته كانت جميع الرسوم التى صاحبت هذه الكلمات بريشة جورج موستاكى.

فـى تلك المرة الأخيرة التى قابلت فيها موسـتاكى كانت فـى عينيه نظرة حزن دفين لم ينكرها فقد قال: إن المرء حين يتخطى السبعين وينظر خلفه إلى الحياة يجد أن ما تبقى لـه منها أقـل بكثير مما مضى وهو قد يترك الحياة راضيـا، لكنه يتركها أيضا بقدر مهما كان ضئيلا من الحزن.

جورج موستاكى مع محمد سلماوى

أمير شعراء بريطانيا:
زوجتى أكثر شاعرية منى!

كان الشـاعر البريطانى الكبير تدهيوز هو أمير الشـعراء فى بريطانيا إلى أن توفى فى أواخر عام ١٩٩٨م، وبرغم أنه كان شـاعرا فحلا فإن اسـمه ارتبط عند العامة بقصة زواجه من الشاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث وقصة انتحارها فى سن الـ ٣٠ أكثر مما ارتبط بإبداعاته الشـعرية والتى كان آخرها ديوان (خطابات عيد الميلاد) الذى صدر قبل رحيل الشـاعر بشهور وكان يحكى قصته مع الشاعرة الراحلة.

يختلف لقب (أمير الشـعراء) فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة عما يمثله عندنا، ففى بريطانيا هو لقب رسـمى تمنحه الملكة إليزابيث شـخصيا لأحد كبار الشـعراء ليصبح هو الشـاعر الأول فى البلاد و(ليس بالضرورة الشـاعر الأفضل) وهو لقب قديم يعود تاريخه إلـى بدايـة القرن الـ ١٧ حين قرر الملك جيمس الأول منحه للشـاعر الكبير بن جونسـون مع راتب خاص من خزانة المملكة، ثم حين تولى بعد ذلك الملك تشـارلز الأول أبقى على اللقب والراتب الذى أضاف إليه برميلا من أفخر أنواع النبيذ، وقد آل اللقب بعد رحيل بن جونسـون عام ١٦٣٧م إلى الشاعر وليام دافنانت فصار تقليدا حيث انتقل بعد أسبوع واحد من رحيل دافنانت عام ١٦٦٨م إلى شاعر القرن السابع عشر الأكبر جون درايدن.

أما فى عام ١٧٩٠م حين تم تنصيب الشاعر هنرى جيمس باى أميرا للشعراء فقد طلب إعفاءه من برميل النبيذ وإضافة ثمنه إلى المرتب السنوى المخصص له.

وقد كان لقب (أمير الشـعراء البريطانييـن) حين منح لأول مرة فى عصر الملك جيمس الأول، يعبّر عن تقدير القصر الملكى لخدمات الشاعر للتاج البريطانى، وكان من المتعارف عليه أن يكتب أمير الشعراء القصائد فى المناسبات الخاصة بالتاج مثل أعياد ميلاد الملك أو أفـراد أسـرته أو عيد الجلوس، إلى أن ألغت ذلـك الملكة فيكتوريا حين قامت بتعيين شاعر الرومانسية الشهير وليام وردز ورث أميرا للشعراء عام ١٨٤٣م.

واليوم ما زالت الملكة هى التى تمنح لقب (أمير الشعراء البريطانيين) لأحد أكبر شعراء العصر كنوع من التكريم للشاعر وهو اللقب الذى منحته لتدهيوز عام ١٩٨٤م، وهذا اللقب

يعطـى الآن صاحبـه بعض الأولويات البروتوكولية فى المناسـبات الرسـمية لكنه لم يعد يتطلب منه كتابة القصائد للتاج.

أمـا فى الولايات المتحدة فإن تاريخ هذا اللقـب يعود إلى عام ١٩٨٥م فقط حين تقرر أن يحمله الشاعر الذى يشغل منصب مستشار الشعر بمكتبة الكونجرس، ومدة هذا المنصب سنة واحدة فقط.

ينتقل بعدها المنصب مع لقب (أمير الشعراء) إلى المستشار الجديد.

وقد كان تدهيوز يعتبر أكبر الشعراء البريطانيين الأحياء إلى أن توفى فى نوفمبر ١٩٩٨م بمرض السـرطان قبل أن يصل إلى سـن الـ ٧٠، وقد أصدر ديوانه الأول عام ١٩٥٧م وكان عنوانه (الصقر وسط المطر)، وله ديوان آخر صدر عام ١٩٦٢م بعنوان (قصائد مختارة) وقد اعتبر النقاد آنذاك هذا الديوان منعطفا جديدا فى تاريخ الشعر البريطانى.

وقد تزوج هيوز الشـاعرة الأمريكية سيلفيا بلاث لكنها انتحرت عام ١٩٦٣م باستنشاق البوتوجاز، وهى فى الـ ٣٠، ووقتها حمل الرأى العام تدهيوز المسئولية وبدأت الاتهامات توجـه إليه على أسـاس أن قسـوته فى التعامل مع زوجته كانـت وراء انتحارها، خاصة أنـه كان قد هجرها قبـل انتحارها ليقترن بامرأة أخرى، ومن الغريـب أن زوجته الثانية انتحرت هى الأخرى بعد سيلفيا بلاث بثلاث سنوات وبنفس الطريقة حيث وضعت رأسها داخل فرن البوتاجاز.

وقد اسـتمرت الاتهامات بالقسوة تطارد الشاعر البريطانى لسنوات بعد انتحار زوجتيه حتـى أنى أذكر أننى فى نهاية السـبعينيات كنت فى زيارة للندن وكانت هناك أمسـية شـعرية لتدهيوز فى مسرح الرويال كورت بوسـط لندن، وعند مرورى أمام المسرح وجدت مدخل المسرح مكتظا، بالمتظاهرين المنتمين لبعض جمعيات الدفاع عن حقوق المرأة والتى كانت تحارب القسوة ضد الزوجات.

ولقد زاد من حدة هذه الاتهامات الشـعبية الكبيرة التى اكتسـبتها سـيلفيا بلاث بعد رحيلها والإقبال المتزايد على أشعارها، وقد دفع ذلك هيوز إلى الانطواء على نفسه، فكان يمتنع عن مقابلة الناس ويرفض إجراء المقابلات الصحفية حتى يتفادى أسئلة الصحفيين عن ظروف انتحار سيلفيا بلاث.

ولقـد قابلـت تدهيوز لأول مرة فى لندن عام ١٩٦٩م، وكنت آنذاك أعمل مدرسًـا للغة الإنجليزيـة بـآداب القاهرة، أما هيوز فكان خارجًا لتوه مـن صدمة انتحار زوجته الثانية

آسـيا ويفيل، وقد دعانى صديق مشـترك هو الممثل المسرحى الراحل هارولد لانج لمقابلة هيوز الذى كان مهتما فى ذلك الوقت بالشعر المترجم.

وأصدر بالفعل عدة مجموعات شعرية أجنبية قام بترجمتها بنفسه، وتصور هارولد لانج أن حديثى مع هيوز عن الشـعر العربى قد يثير اهتمامه ويخرجه قليلاً من الحالة النفسـية التى كان يمر بها آنذاك.

كان هيوز قد توقف عن كتابة الشـعر بعد رحيل سـيلفيا بلاث لكنه كان مازال محتفظا بسحنة الشاعر فشعره الكستنائى كان يتدلى فى إهمال على جبهته، وعيناه كانتا شاردتين تتطلعـان إلى أفق بعيد خلف الزمان والمكان، كان فى وسـامة ممثلى هوليوود وكان فارق الطول لا يمكن أن تمر عليه عيناك دون أن تتوقفا عنده.

لم يكن تدهيوز قد حاز بعد على لقب (أمير الشـعراء)، وحين حدّثته عن شـعره، قال لى دون أن يبتسم: كان ذلك منذ سنوات، أما الآن فأنا لا أكتب الشعر بل أترجم ما كتبه الآخـرون، فقلت: إن الشـاعر يظل دائما شـاعرا مهما توقف عن الإبـداع لفترة قد تطول أو تقصر، فشـكرنى فى أدب دون أن يزيد، فلم يكن يعرف آنذاك أنه سـيعود إلى كتابة الشـعر بعد ما يقرب من عشـر سنوات أى فى أواخر السبعينيات حيث كان سيقدم إنتاجا جديدا عليه وغزيرا يسـتلهم فيه روح الأسـاطير القديمة ويوحد فيه بين الإنسـان ومملكة الحيوان فيضيف بذلك بعدا أسطوريا جديدا لإنتاجه الشعرى.

مكثـت مع تدهيوز ما يزيد على السـاعة التى لم يتحدث فيهـا كثيرا، وكأنه لا يريد الحديث أصلا فلم يسألنى عن الشعر العربى ولا التقط ذلك الخيط حين عرج عليه صديقنا المشـترك هارولد لانج، وحين علقت أنا على إحدى قصائد زوجته الراحلة سـيلفيا بلاث قال هيوز: لقد كانت شـاعرة عظيمة، ثم سـهم قليلا وعاد يقول: لقد كانت أكثر شاعرية منى ولو عاشت لأصبحت أفضل شعراء هذا العصر.

وسألته إن كان يفكر فى كتابة قصته معها، فأجابنى على الفور بالنفى، لكنه فى يناير عام ١٩٩٨م وهو نفس عام رحيله أصدر ديوانه الأخير (خطابات أعياد الميلاد) الذى كانت قصائده الـ ٨٨ تدور كلها حول قصته مع سـيلفيا بلاث وهو الديوان الذى حقق له نجاحا منقطع النظير حيث باع مائة ألف نسخة مما يعتبر غاية فى الندرة فى تاريخ توزيع الكتب الشعرية فى العالم.

❑❑❑

رومانو برودى:
بيرلوسكونى لا يعرف ما يقول!

المقارنة بين رئيس وزراء إيطاليا المنتهية مدته سيلفيو بيرلوسكونى ورئيس وزرائها المنتخب رومانو برودى مقارنة مثيرة. فالرجلان يختلفان تماما عن بعضهما البعض بحيث يصبح الجمع بينهما – كما يقول الإنجليز – كجمع البرتقال على التفاح. فإذا جمعت مثلا ثلاث برتقالات على ثلاث تفاحات لا يصبح لديك ستة، وإنما يظل لديك ثلاث برتقالات وثلاث تفاحات لأن البرتقال لا يجمع على التفاح والاختلاف بين بيرلوسكونى وبرودى هو من ذلك النوع الذى لا يشير إلى أية درجة من التشابه فيما بينهما.

رومانو برودى مع محمد سلماوى

تابعت أخيرا الانتخابات الإيطالية التى أوصلت رومانو برودى فى الشهر الماضى إلى تشكيل الوزارة الجديدة فى إيطاليا، وما إن فاز برودى بتجمع يسار الوسط على منافسه رئيس الوزراء اليمينى سيليفو بيرلوسكونى حتى قفزت إلى ذهنى تلك الجلسة الطويلة التى جلست فيها إلى رومانو برودى والتى ظل يتحدث خلالها بلغة الأرقام التى يجيدها بحكم تخصصه الاقتصادى، وتذكرت أيضا تلك اللحظات الخاطفة التى قابلت فيها بيرلوسكونى

فـى أحد سـتوديوهات قناة التليفزيـون (راى) التى يمكلها، حيث تصـادف وجوده فى التليفزيـون لتسـجيل بيان ما، بينما كنت أنا ضيف أحـد البرامج الصباحية ذات الإقبال الجماهيرى، لكن تلك الدقائق القليلة التى لم نتبادل فيها أكثر من كلمات التحية التقليدية كانت كافية كى يترك بيرلوسـكونى تأثيرا لا يمكن تجاهله بشـخصيته الجذابة وبقفشاته المرحة، برغم اختلافى الكامل مع مواقفه السياسية.

أمـا رومانو برودى فهو صاحب العقل الراجح والفهم العميق لطبيعة العلاقة بين أوربا والعالـم العربى، وهـو يؤمن بأهمية هذه العلاقة على السـاحة الدولية، لكنه يقدم رؤيته هـذه بهدوء يكاد يصيبك بالملل ويدعم كل رأى يقوله بالأرقام والإحصائيات التى تضيف قوة لحجته، لكنها لا تصنع حديثا شيقا كالذى تصنعه تصريحات بيرلوسكونى الخلافية التى تثير اهتمام الجميع وإن كانت لا تمت إلى الحقيقة بصلة، ولقد صرح بيرلوسـكونى ذات مرة بأن أحدا فى تاريخ أوربا لم يصنع ما صنعه هو إلا نابليون ثم أضاف، لكنى أنا أطول منه قامة، كما قال أيضا ردا على بعض ما تعرض له من هجوم: أنا مسيح السياسة فى العصر الحديث.

وقد أجرى رومانو برودى أول حديث له مع الصحافة العالمية بعد فوزه فى الانتخابات وكان مـع مجلة (تايم) الأمريكية التى وجه له مندوبها سـؤالا قال فيه: إن البعض قلقون من أن هزيمة بيرلوسكونى تعنى أن السياسة الإيطالية لن تكون مسلية بعد الآن، فرد عليه برودى قائلا: للأسـف أن رومانو برودى أكثر مللا من بيرلوسـكونى، فأنا لا أسـتطيع أن أعدهم بمثل هذه التسلية ثم إن التسلية لم تفدنا كثيرا.

وكنـت قد قابلت رومانو برودى لأول مرة فى روما وقت كان رئيسـا لوزراء إيطاليا فى الفتـرة مـن ١٩٩٦م إلـى ١٩٩٨م ثم التقيت به مرة أخرى فى القاهـرة بعد أن أصبح أحد أعضـاء وفد (الترويكا) الممثل لقيادة الاتحاد الأوربى وذلك بوصفه رئيس اللجنة الأوربية، كان ذلـك فـى نوفمبر ٢٠٠١م أى بعد ثلاثة أشـهر فقط من أحداث سـبتمبر ٢٠٠١م فى نيويورك وفى الوقت الذى كان بيرلوسكونى يصرح بأن الحضارة الغربية (أكثر رقيا) (!!) من الحضارة الإسلامية، وهو التصريح الذى أثار عليه غضب العالم الإسلامى كله فى ذلك الوقـت لكن رومانو برودى أخـذ يحدثنى عن العلاقات الوثيقة التى تربط بين دول حوض البحر المتوسط والتى تجمع بين أوربا والدول العربية.

وكان مــن رأى برودى أن المســتوى الحالى للتعاون الاقتصــادى بين الاتحاد الأوربى والدول العربية غير مرض ولا يعكس طبيعة العلاقات التاريخية بين الجانبين والتى تحتمل حجما أكبر بكثير من التعامل الاقتصادى بين شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط.

ثم يضيف برودى حين أتحدث عن التعاون بين أوربا والعالم العربى فأنا لا أقصر ذلك علــى النواحى الاقتصادية فقط، فأين هو التعاون مثلا فى مجال تبادل أســاتذة الجامعات أو البحث العلمى أو التبادل الثقافى؟.. وماذا عن مصادر الطاقة؟.. وماذا عن الماء؟

ولبرودى نظرية خاصة مؤداها أن التســوية فى الشــرق الأوســط لن تتأتى إلا من خلال زيادة التعاون بين أوربا والدول العربية، فالتســوية فى رأيه لا تقوم على السياسة وحدها، وإنمــا أيضا على الاقتصاد والعلوم والاتصــالات والثقافة، وهو يقول: لننظر مثلا إلى أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، إن ما صنع السلام لم يكن توقف الحرب، وإنما إعادة البناء وهو ما لم يتأت إلا من خلال التعاون فى شتى المجالات.

وبرغــم موقــع بــرودى القيادى داخــل الاتحاد الأوربــى فى ذلك الوقــت فقد كانت له انتقادات على السياســة الأوربية فى الشــرق الأوســط، فهو يرى أن أوربا ركزت كثيرا على إعادة علاقاتها مع دول أوربا الشــرقية بعد سقوط الاتحاد السوفيتى ودفعت بالتعاون مع دول شرق أوربا خطوات إلى الأمام وأن ذلك جاء على حساب اهتمامها بجنوب البحر المتوسط الذى يعتبر هو الآخر منطقة حيوية بالنسبة لها.

ويطرح رومانو برودى فى لقائه معى اقتراحا مبتكرا حين يقول: علينا أن ننشــئ بنكا مشــتركا فيما بيننا، ولا أقصد بنكا يتعامل فى النقد، وإنما بنك للبشــر يضم أفضل العقول بين الجانبين ويقوم بتدارس القضايا المشــتركة من السياســة إلــى الاقتصاد إلى الثقافة، إن بنك العقول هذا ليس بديلا عن رجال السياسة وإنما هو عون لهم يمدهم بالأفكار الجديدة وبالحلول الجديدة لما نواجهه من مشاكل.

ثم يقول: إن العالم ليس هو الولايات المتحدة وحدها، فأوربا تمثل أكبر تجمع سياسى واقتصــادى فــى العالم، والعالم العربى يمكن أن يعتمد على أوربا مثلما تســتطيع أوربا أن تعتمد على العالم العربى، فدولة مثل مصر تعتمد اعتمادا كبيرا فى اقتصادها على السياحة وإذا نظرنا إلى السياح القادمين إلى مصر نجد أن ثلثى هؤلاء السياح هم من الأوربيين.

أمــا من الناحية السياســية فقد كانت أوربا دائما أقرب إلــى تفهم قضايا العالم العربى وكانت أول من طالب بضرورة وجود دولة فلسطينية.

ولقد سألت رومانو برودى عن تصريحات رئيس الوزراء سيليفو بيرلوسكونى المعادية للحضارة الإسلامية، فابتسم فى هدوء قائلا: إن بيرلوسكونى لا يعرف ما يقول لذلك لا ينبغى أن تؤخذ أقواله مأخذ الجد!

قلت: لكن المشكلة هى أن سياساته هى الأخرى ليست أقل سوءا من أقواله، فرفع برودى يديه فى الهواء يائسا دون أن يجيب:

لقد كان رومانو برودى أول مسئول سياسى غربى يزور إيران وقت كان رئيسا للوزراء، وقد كانت تلك خطوة غير مسبوقة من الدول الغربية أثبتت أن برودى إن لم يكن أكثر امتاعا للناس بتصريحاته الخلافية من بيرلوسكونى إلا إنه بالتأكيد أكثر جرأة فى سياساته، فبيرلوسكونى اتخذ الطريق السهل بالانسياق وراء الولايات المتحدة حين قرر خوض الحرب فى العراق، وهو ما لم يكن لبرودى أن يفعله أبدا، بل إنى أكاد أجزم أن القرار الذى أعلنته حكومة بيرلوسكونى فى الأسبوع الماضى بسحب القوات الإيطالية من العراق كان وراءه معرفة يقينية بأن هذا ما سيفعله رئيس الوزراء الجديد فور توليه الوزارة فى الشهر الحالى والرغبة فى حرمانه من تلك الخطوة التى سيتقبلها الإيطاليون بترحاب كبير مما كان سيساعد على تأكيد شعبيته من البداية.

❑❑❑

ملك العطور الفرنسية:
أول زجاجة عطر فى العالم صنعت فى مصر!

يقـال إن كليوباتـرا حين أرادت أن تغـوى القائد الرومانى أنطونيـو دعته للقائها فى مركبتها على صفح النيل بعد أن غمست قلوع المركبة فى أجمل العطور، وهكذا فكلما هب نسيم الليل العليل تضوعت المركبة بأشهى العطور، ومازالت المرأة تستخدم العطور حتى الآن باعتبارهـا أمضى سـلاح لإغواء الرجل، لكن بعـد أن أصبح وراءها فى العصر الحالى مصانع عملاقة وشركات كبرى عابرة للقارات تمدها بهذا السلاح على كل شكل ولون.

كنت أجلس مع جان بول جيرلان فى مواجهة البحر الأحمر بشـرم الشـيخ حين سألته سؤالا يبدو بدائيا وهو: ما هو العطر؟ وجان بول جيرلان يلقب فى فرنسا بملك العطور لأنه سليل أسرة جيرلان التى تخصصت فى صناعة العطور منذ أكثر من قرنين من الزمان.

صمـت جيرلان قليلا ثم قال: العطر هو أشـياء كثيرة لكنه أولا وقبل كل شـىء أقوى أسلحة الإغراء فى التاريخ، فيجب ألا ننسى قوة الروائح فى مملكة الحيوان والتى بدونها لمـا تكاثرت الأنواع، لذلك فـإن العطر يحمل فى داخله تاريخ كل ما هو كامن فى داخلنا منذ بدء الخليقة.

ثم يبتسم جيرلان (٧٠ عاما) وهو يقول: فى الحقيقة أن العطر هو كل ما يبقى للمرأة فى نهاية اليوم، فقد تمضى المرأة الساعات عند (الكوافير) أو فى ارتداء ملابسها أو وضع زينتها، لكنها فى نهاية اليوم حين تخلع ذلك كله لا يبقى عليها أمام الرجل إلا العطر.

ويعتبر بيت عطور جيرلان من أقدم بيوت العطور فى العالم فقد أسسه الجد الأكبر لجان بـول جيرلان وهو بيير جيرلان الذى صنع عام ١٨٥٣م العطر المفضل للامبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث وكان اسمه (الماء الامبراطورى) Eau Imperiale، وهو لا يزال يباع حتى الآن فى فرنسـا بزجاجته الزرقاء الداكنة والتى تزينها النحلات الذهبية المرسـومة باليد كما كانت ترسم قبل أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان.

ويعتبر جان بول جيرلان هو الجيل الخامس فى أسـرة جيرلان وقد صنع أول عطر خاص به وهو فى سن الـ ١٨ الذى أصبح فى عام ١٩٥٩م أشهر عطور الرجال فى فرنسا وكان اسمه Vetiver، أما أشهر العطور النسوية التى صنعها فكانت Samsara الذى صنعه لزوجته.

سألت جيرلان: كيف تصنع عطرك؟ قال على الفور: إننى أشمه فى مخيلتى كما يسمع الموسيقار اللحن فى ذهنه قبل أن يكتبه، ثم يأتى بعد ذلك تركيب العطر نفسه، فإذا تخيلت رائحة العطر أستطيع أن أجمع المكونات التى تعطى تلك الرائحة.

قلت: الشخص الذى يختص بشم العطور عند صناعتها لاختبارها يسمى Lenez أى الأنف، فمن هو أنفك؟

قال: أنا لا أحب هذا التعبير لأنه يفترض أن العطر يخاطب حاسة واحدة فقط هى الشم بينما الحقيقة أن العطور العظيمة تخاطب الحواس البشرية جميعا، وكم من مرة شممنا عطرا فأهاج ذكرى معينة أفرحتنا أو أحزنتنا أو قلبت حالنا كله رأسا على عقب.

أما أول من يبدى رأيه فى عطر جديد صنعته فهو زوجتى التى صنعت لها أكثر من عطر.

ويشرح لى جيرلان الذى يمتلك مزارع كثيرة فى مختلف أنحاء العالم من تونس إلى جزر القمر أن هناك فى العالم نحو ألف عنصر عطرى طبيعى بالإضافة إلى ثلاثة أو أربعة آلاف عنصر مصنع، وتتجه صناعة العطور الآن فى العالم إلى العناصر المصنعة لأنه أرخص ولأنها ثابتة لا تتغير كالعطور الطبيعية، لكنه يقول إنه يفضل العطور المركبة من الروائح الطبيعية لأنها عطور حية تتفاعل مع كل جسم بطريقة مختلفة.

قلت: وما هو أغلى عنصر طبيعى فى العالم؟

قال: البنفسج، فزهرة البنفسج هى أكثر الزهور غيرة على عطرها لدرجة أن تكاليف استخراج عطر البنفسج تجعل ثمنه فى النهاية يصل إلى عشرة أضعاف ثمن الذهب، لذلك فإن معظم صانعى العطور يستخدمون رائحة البنفسج الصناعية لأنها أرخص.

وأسأل جيرلان عن زهرته المفضلة فيقول إنها الياسمين، وفى ذلك يقول إنه يجوب العالم لمدة شهور كل سنة بحثا عن أفضل الزهور، وقد وجد أن الياسمين المصرى هو أجمل ياسمين فى العالم، ثم روى لى قصته مع الياسمين المصرى فقال:

إن بيت جيرلان منذ وقت جدى لم يكن يشترى الياسمين إلا من مصر، وكان يشترى كميات هائلة تصل إلى عدة أطنان من هذه الزهرة كل سنة، لكن منذ بضع سنوات قرر المصدر المصرى فجأة أن يرفع ثمن الياسمين بدرجة لم يكن من الممكن الامتثال لها.

قلت: وماذا فعلت؟

قال: أخذت بعض عينات الياسمين إلى الهند حيث الجو وطبيعة التربة مماثلان لمصر وجربنا زراعة الياسمين هناك ونجحت التجربة، وعندئذ خفض المصدر المصرى من ثمن الياسمين فأصبحنا الآن نشترى نصف الكمية التى نحتاج إليها من الهند والنصف الآخر من مصر.

وبدأ شمس المغيب تداعب أمواج البحر الأحمر ونحن جلوس فى شرفة أحد الفنادق فى شرم الشيخ فصمت جيرلان وأخذ ينظر إلى هذا المشهد البديع، ثم قال وكأنه يحدث نفسه: ما إن تغرب الشمس حتى تبدأ الزهور فى إطلاق أريجها من مختلف العطور الساحرة، ثم نظر إلى وقال: إن الناس تتصور أن الطبيعة تنام فى الليل لكنها مثل البشر الذين يسهرون تبدأ حياتها فى الليل حين يهب النسيم العليل فينقل رسائل الحب من زهرة إلى أخرى عن طريق العطور.

ويذهب جيرلان بذاكرته بعيدا وهو يقول لقد كنت فى زيارة لليابان منذ سنوات مضت وأثناء سيرى فى الشوارع فى الليل شممت رائحة زهرة الكرز التى تشتهر بها اليابان فى الربيع، وقد ظلت رائحتها مستحوذة على وجودى كله إلى أن صنعت منها بعد ذلك عطرا أسميته باسمها وتصورت أنه يصلح لليابان وحدها لكنه انتشر فى العالم كله حاملا معه عبير الشرق الأقصى.

قلت: لقد زرت مصر كثيرا ألم تفكر فى عمل عطر مستوحى من مصر مثل ما صنعته لليابان؟

قال: إن مصر هى أول من صنع العطور فى العالم، صحيح أن هناك ذكرا للعطور فى الإنجيل وفى كتب التاريخ القديم، لكن عطور مصر كانت سابقة على ذلك كله، ولقد شاهدت بنفسى وصفات للعطور على جدران بعض المقابر الفرعونية، وكان البعض منها على شكل أقماع من الشحوم تضعها النساء على رؤوسهن فتسيح مع الحرارة وتطلق عطورها على شعر المرأة، وقد انتشرت فى القرون الـ ١٦ والـ ١٧ والـ ١٨ فى أوربا زجاجات العطور والتى كانت تصنع فى بعض أحيان من الذهب أو الفضة أو الخزف، لكن أول زجاجة عطر عرفها الإنسان كانت مصرية الصنع ويعود تاريخها إلى ألف سنة قبل الميلاد، لذلك فأنا حين أقترب من مصر فإنى أفعل ذلك برهبة كبيرة، وإن كنت أتطلع بالفعل فى يوم من الأيام إلى تحضير عطر يليق بأن يطلق عليه اسم إحدى ملكات مصر خاصة جميلة الجميلات نفرتيتى.

❑❑❑

صلاح جاهين:
سأرفع قضية على داليدا!

فى مثل هذا الشـــهر منذ ٢٠ عاما فقدنا صلاح جاهين، فى شـــهر الربيع رحل عنا لكن كلماتـــه مازالـــت معنا نابضة بالحياة، ومازلت أراه وأســـمع صوته وهـــو يتلو علىّ كلمات أغنيته الجديدة التى كتبها للمطربة الفرنســـية المصرية الأصل داليدا لتصبح بداية لسلسلة من الأغنيات العربية الناجحة التى شـــدت بها وليدة حى شبرا بالقاهرة التى أصبحت من أكبر نجوم الغناء فى العالم.

فى أحد أيام عام ١٩٧٧م اتصل بى صلاح جاهين وقال بصوته الأجش عندى لك مفأجاة هايلة! قلت: ما هى؟ قال: ما تنفعش فى التليفون، وفى مساء نفس اليوم كنت عند صلاح جاهين فى منزله بشـــارع جامعة الدول العربية، وجلســـنا نتحدث فى أشياء كثيرة إلى أن قلـــت له: أمال فين المفأجـــأة؟ فقال كمن تذكر فجأة: آه صحيح، ثم قام وأحضر شـــريط كاســـيت فوضعه فى جهاز التسجيل وقال: اســـمع يا سيدى، وفجأة سطع صوت لم تكن لتخطئه أذنى فهو صوت المطربة ذائعة الصيت داليدا وهى تغنى لأول مرة بالعربية:

فى الدنيا الكبيرة
وبلادها الكتيرة
لفيت لفيت لفيت
ولما ندانى
حبى الأولانى
سبت كله وجيت
وفى حضنه اترميت
وغنيت:
سالمة يا سلامة
روحنا وجينا بالسلامة

لم تكن أغنية (سالمة يا سلامة) التى كتبها صلاح لداليدا قد أذيعت بعد، لكنها أرسلت له تســـجيلا لها ليبدى رأيه فيها، ولمعرفة صلاح بعشـــقى لصوت داليدا أراد أن يسمعنى

الأغنية بمجرد أن وصلته من باريس، وجلسنا أنا وهو فسمع الأغنية فى صمت دون أن ينبس أحد منا بكلمة، وحين انتهت الأغنية قال لى صلاح: تسمعها تانى؟ قلت: تانى وتالت، واستمعنا مرة أخرى للأغنية، وفى المرة الثالثة صاح صلاح فجأة: الله! إيه ده؟ فقلت: فيه إيه يا صلاح؟ قال: استنى كده، وأعاد إذاعة المقطع الأخير من الأغنية والذى تقول فيه:

فيه شجرة جوه
جنينة عليها علامة
أنا ياما كنت
بافكر فيها
وبسأل ياما
يا ترى موجودة؟
وقلبى محفوظ فيها؟
أيوه موجودة
وقلبى محفوظ فيها

ونظر إلىّ صلاح جاهين بعينيه الطفولتين وقال: سمعت قالت إيه؟ قلت: أيوه سمعت، فقال: دى غيرت كلامى، قلت إزاى؟ قال: هى بتقول قلبى محفوظ فيها موش محفور فيها، قلت: فعلا، قال أنا كاتب محفور موش محفوظ.

وقد اتضح أن صلاح جاهين حين بعث بكلمات الأغنية لداليدا فى باريس كتبها لها بالأحرف اللاتينية حتى تستطيع قراءتها وكتب كلمة محفور Mahfour لكن يبدو أنها قرأت الحرف الأخير من الكلمة على أنه حرف Z وليس حرف R فنطقتها على أنها محفوظ وليس محفورا.

قلت لصلاح جاهين: ألم تلحظ ذلك إلا الآن؟ قال: لقد استمعت إليه سريعا قبل مجيئك لكنى لم ألحظ هذا التغيير، ثم بدت على وجهه علامات الحيرة وهو يقول: طيب أنا أعمل إيه بقى دلوقت؟ قلت له: إما أن ترفع قضية وإما تنسى الموضوع وتستمتع بالأغنية، قلت هذا وأنا أريد أن أستمتع بالأغنية بدلا من أن أتحدث فى القضايا، فسكت صلاح وأخذ يستمع معى لبقية الأغنية وبعد أن انتهت ابتسم فجأة وقال لى: إنت عارف إنها موش

وحشـــة؟ قلت: تقصد الأغنية؟ قال: لأ أقصد كلمة محفوظ، ثم أخذ يشـــرح لى أن وجود قلب داليدا محفوظا فى داخل شجرة فى مصر يحمل معنى أعمق من مجرد أن تكون صورة قلبهـــا محفورة على الشـــجرة، قلت له: عندك حق، قـــال: بتتكلم جد ولا بس عايز تنقذ صاحبتـــك من القضية اللى كنت حارفعها عليها؟ قلت: له: كيف ترفع عليها قضية وهى الوحيدة التى أضافت لأشعارك عمقا جديدا، إن علينا جميعا أن نشكرها.

واستمرت علاقة التعاون بين صلاح جاهين وداليدا بعد ذلك فكتب لها أغنيات أخرى مثـــل (جميل الصورة) و(أحســـن ناس) و(أغانى أغانى)، وقد حـــدث أن كنت فى باريس وقـــت صـــدور أغنية (أغانى أغانى) وأبدت لى داليدا إعجابهـــا بهذه الأغنية العبقرية كما أســـمتها داليـــدا والتى جمع فيها صلاح جاهين أجمل الأغانـــى المصرية القديمة مثل (يا دبلـــة الخطوبة) لشـــادية و(يا جميل يا جميل) لفريد الأطرش و(القمـــح الليلة ليلة عيده) لمحمـــد عبـــد الوهاب و(يا امه القمـــر ع الباب) لفايزة أحمد وغيرهـــا، لكن برغم إعجابها الكبير بالأغنية فقد كانت داليدا تعتقد أن أغنية (ســـالمة يا سلامة) هى أفضل ما كتبه لها صـــلاح جاهين، وحين فاتحتها فى قصة الكلمة التى غيرتها فى الأغنية اندهشـــت داليدا لذلك وقالت إنها أول مرة تسمع هذه الحكاية برغم أن الأغنية كان قد مضى على صدورها حوالى خمس سنوات.

ولقد حققت أغنية (ســـالمة يا ســـلامة) نجاحا فاق كل التصـــورات، فقد كانت داليدا تبحث عن أغنية تطرب الشـــعب المصرى كما فعلت بعد ذلك مع أغنية أخرى عن لبنان لم تنتشر إلا فى لبنان فقط وهى أغنية لم يسمع بها أحد اسمها (لبنان)، أما أغنية (سالمة يا سلامة) فقد انتشرت فى كل البلاد وغنتها داليدا بأكثر من لغة.

لكن بســـبب النجاح الذى حققته (ســـالمة يا سلامة) فقد تم استغلالها فى أغراض غير ما كتبه لها صلاح جاهين، فحين قام الســـادات بزيارته الشهيرة إلى القدس فى نفس عام صدور الأغنية سجلت داليدا الأغنية مرة أخرى بكلمات فرنسية جديدة وأبقت على لازمة (ســـالمة يا ســـلامة، روحنا وجينا بالســـلامة) وكانت الأغنية تتحدث هذه المرة عن رجل السلام الذى لم تذكر اسمه والذى سافر من بلده فى رحلة خطرة ليأتى لأهله بالسلام.

على أن أســـوأ اســـتغلال للأغنية هو ما كان ســـيحدث بعد رحيل صلاح جاهين حين أرسلت شركة EMI الشهيرة لورثة صلاح جاهين تستأذنهم فى إعادة تسجيل الأغنية على إيقاع جديد لموســـيقى الـ (راب)، لكن شقيقة صلاح جاهين السيدة بهيجة بهجت حلمى

حيــن قرأت الكلمات الجديــدة التى أضيفت للأغنية وجدت أنها تهاجم الكفاح المســلح للشــعب الفلسطينى، فرفضت السماح للشركة باســتغلال أغنية شقيقها الشاعر الكبير فى الدعاية لإسرائيل.

ولقد نقلت إلى صلاح جاهين فى بداية عام ١٩٨٦م رغبة داليدا فى أن يكتب لها أغنية عن الربيع تعيد ذكرى ربيع سنواتها التى قضتها فى مصر قبل أن ترحل إلى باريس، لكن فــى ربيــع نفس العام، وفى يوم ٢١ أبريل بالتحديــد كان صلاح جاهين قد قرر أن يرحل عــن عالمنا تاركا لنا أغانيه وأشــعاره نفعل بها ما نريــد، ومن بينها الرباعيات التى يقول فيها عن الربيع:

دخل الربيع يضحك لقانى حزين
نده الربيع على اسمى لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبى وراح
وإيش تعمل الأزهار للميتين
عجبى!

❑❑❑

جاك شيراك:
الديجولية أكبر من سياسات ديجول

كنت أول صحفى من الوطن العربى يجرى مقابلة صحفية مع جاك شيراك بمجرد تعيينه رئيسا لوزراء فرنسا فى عام ١٩٧٥م، كان شيراك فى ذلك الوقت فى الـ ٤٣ من عمره وكان بذلك أصغر رئيس وزراء تعرفه فرنسا منذ قرنين من الزمان، وقد كان أكثر ما لفت نظرى فى شخصيته هو ذكاؤه المفرط ونشاطه الهائل وطموحه الذى لا يعرف حدودًا، وقد تنبأت آنذاك بأنه سيصبح رئيسا للجمهورية ووضعت لحديثى معه حين نشرته عنوان: (البولدوزر) الذى يتطلع إلى مقعد الرئاسة!

فى قصر (الماتينيون) الذى يعود إلى عهد الملك لويس السادس عشر والذى أصبح الآن مقرا لرئاسة الوزارة فى فرنسا، كان لقائى مع رئيس الوزراء الجديد جاك شيراك صاحب الشخصية الخلافية والمثير للجدل، فقد ارتبط اسم شيراك بالحزب الديجولى لكن فى انتخابات الرئاسة التى جمعت بين مرشح الديجوليين جاك شابان دلماسى ومرشح اليمين فاليرى جيسكار ديستان ومرشح اليسار فرانسوا ميتران، وقف بكل وضوح مع جيسكار وضد شابان دلماسى.

ومع ذلك فقد كان شيراك هو المثل الأعلى لشباب الحزب الديجولى الذى كان يؤمن بصدقه وبقدرته على خدمة المبادئ الديجولية، فقد كان شيراك هو الذى نجح فى إنقاذ الديجولية بعد رحيل كل من ديجول وبومبيدو لأنه – على حد قولهم – (الرجل العملى المتفائل الذى يربح دائما)!

لقد كان جاك شيراك هو رجل جورج بومبيدو الوفى الذى تدرج فى الوزارة الفرنسية بعد أن تنبه بومبيدو إلى قدراته الفائقة فاحتضنه ليصل إلى أعلى مرتبة فى الوزارة، وقد انتخب شيراك بالإجماع سكرتيرا للحزب الديجولى المعروف باسم (اتحاد الدفاع عن الجمهورية)، لكنه استقال بعد توليه رئاسة الوزارة حسب ما قال لى بسبب عدم إمكانية التوفيق بين مسئوليات سكرتارية الحزب ومهام رئيس الوزارة.

وقد كان الوسط السياسى فى فرنسا فى عام ١٩٧٥م يتوقع الكثير من رئيس الوزراء الجديد الذى كان يجسد شباب الحياة السياسية آنذاك، وقد لاحظت أنه كان محاطا

بعدد كبير من الشباب فى مكتبه، فسكرتيره الصحفى – حسبما اكتشفت – لم يكمل عامه الـ٢٦ بعد، وقد قال لى إنه لولا نشـاطه غير العادى لما استطاع أن يلاحق جاك شيراك، فرئيس الوزراء يعمل ١٥ سـاعة فى اليوم ولا ينام أكثر من ٥ سـاعات فقط ويشرب كميات هائلة من القهوة، وربما كان هذا هو ما جعل الرئيس الفرنسى الراحل جورج بومبيدو يطلق عليه لقب (البلدوزر)، وهو اللقب الذى التصق به طوال فترة رئاسته للوزارة.

كان أول ما فعله جاك شـيراك حين جلسـت أمام مكتبه هو أنه نظر إلى سـاعته وقال بطريقـة آلية ودون أن ينظر إلى: أمامك نصف سـاعة فقط، فما هو أول سـؤال؟ فأخذت بأسـلوبه الجاف وأيقنت أن حديثى معه لو اسـتمر على هذا المنوال سيكون حديثا تقليديا عبارة عن سؤال يتلوه جواب دون أى تفاعل إنسانى.

ورميت بسـؤالى الأول فجائنى الجواب ثم بالثانى وقبل أن يكمل شيراك جوابه دخل علينا سكرتيره الصحفى ليخبره بمكالمة تليفونية مهمة على الخط فاستأذن شيراك منى ورد على المكالمة التى بدت على قدر من الأهمية فقد اسـتغرقت بضع دقائق، وما أن انتهيت ووضع شـيراك سـماعة التليفون حتى قلت له: إننى أطالب بحقى فى أربع دقائق إضافية فـى نهاية الحديث تعويضا للوقت الضائع الذى اسـتغرقته هـذه المكالمة التى اقتحمت الوقـت المخصص لى! فقال شـيراك وقد رفع حاجبيه: هذا هـو رئيس الجمهورية الذى كان يحدثنى فى أمر مهم، قلت أما أنا فأهم ما عندى هو هذا الحديث، ولسـت مسـتعدا أن أتنازل عن دقيقة واحدة منه حتى لو كان ذلك لرئيس الجمهورية! فابتسم شيراك لأول مرة منذ دخلت عليه فى مكتبه قبل حوالى ربع السـاعة، ثم نهض فجأة من على مكتبه فخشـيت أن ينهى المقابلة، لكنه قال: يعجبنى تمسـكك بحقك، فليكن لك ما طلبت، ثـم أخذ بيدى وهـو يقول: تعال نجلس هناك على تلك الأريكـة الوثيرة، فيبدو أن لقاءنا سيطول قليلا.

ومنذ تركنا المكتب وجلسنا فى الصالون المخصص للضيوف ظهرت أمامى شخصية جديدة لرئيس الوزراء أكثر إنسانية من الشخصية الصارمة التى ظهرت لى فى بداية اللقاء.

كان شيراك هو الذى بادرنى بالسؤال عن مصر وهل تعلمت الفرنسية فيها أم فى فرنسا، وقد لاحظت أنه يدخن بشـراهة حيث ظل يشعل سيجارة من أخرى فسألته: كم سيجارة تدخن فى اليوم؟ فقال لى: ما يقرب من علبتين.

وبعد مرور بضع دقائق فى هذا الحديث الودى الذى ساهم فى إزالة الحاجز الذى كثيرا ما يكون بين الصحفى والمسئول الكبير حين يلتقيان لأول مرة، خشيت أن يطول مداه أكثر مما ينبغى فعدت بسرعة إلى قائمة الأسئلة التى كنت قد أعددتها لهذه المقابلة.

كان أول ما أردت أن أستوضحه من خلال هذا اللقاء هو الموقف السياسى الحقيقى لشيراك، خاصة ما كان يتردد فى ذلك الوقت حول أن ديجوليته هى (الديجولية المعدلة) وليس ديجولية الجنرال شارلى ديجول، وقد قال لى فى ذلك:

إن الديجولية تتعدى بكثير سياسات ديجول، لأنها فى الحقيقة موقف سياسى ممتد عبر التاريخ الفرنسى قبل وبعد ديجول، وقد كان هذا الموقف دائما ما يظهر على السطح بشكل واضح فى أوقات الأزمات كلما كانت الكرامة الوطنية تمر بمحنة لسبب أو لآخر.

وواصل شيراك حديثه قائلا: فى عام ١٩٥٨م على سبيل المثال حين كانت فرنسا تمر بمرحلة تقترب من التحلل الداخلى بعدما أصابها من جراء حربها الخاطئة ضد مصر فى عام ١٩٥٦م. اعتمد الجنرال ديجول على هذا التيار السياسى لإعادة تماسك البلاد فكان هو أفضل من نجح فى التعبير عن هذا التيار لذلك ارتبط بعد ذلك باسمه.

ونحن اليوم نتمسك بهذا التيار ولا نحيد عنه لأنه طريقنا إلى المستقبل، وهو يتجسد فى السيادة الوطنية والاستقلال والعدالة الاجتماعية واستقرار المؤسسات.

ثم نظر ورفع شيراك إصبعه وهو يقول: ودعنا لا ننسى أن الديجولية هى التى حولت فرنسا من أشد الدول عداء للعرب إلى أقرب الأصدقاء، وعلينا أن نتمسك بذلك فى المستقبل.

وقد شرب شيراك ثلاثة فناجين من القهوة خلال لقائنا الذى امتد ثلاثة أرباع الساعة والذى ترك فيه صرامته على المكتب وجلس معى فى الصالون على سجيته واضعا ساقا فوق الأخرى.

❑❑❑

أم كلثوم:
لا تصدقوا أحمد رامى!

قابلــت أم كلثوم للمرة الأولى فى حياتى وللمرة الثانية أيضا فى ليلة واحدة، كان ذلك فى بداية الســتينيات فى إحدى حفلاتها الغنائية بسينما قصر النيل، ففى الاستراحة بعد وصلتها الغنائية الأولى كان اللقاء الأول، وما أن انتهت أم كلثوم من وصلتها الثانية حتى سحبنا الشاعر أحمد رامى أنا وشقيقتى التى كانت تحضر معى الحفل للقاء أم كلثوم للمرة الثانية دون أن نطلب منه ذلك.

كنــت مازلــت طالبا فــى الجامعة فى فترة الســتينيات حين حضــرت لأول مرة إحدى الحفلات الغنائية لأم كلثوم، وأذكر أننى حضرت ذلك الحفل أنا وشــقيقتى وقد تصادف أن كان يجلس إلى جانبنا الشاعر الكبير أحمد رامى، وما بين وصلة الغناء الأولى والثانية ذهبت أنا وشقيقتى إلى خلفية المسرح للقاء أم كلثوم فحيتنا ووقعت لنا باسمها على تذاكر الحفل، بعد أن كتبت لنا عبارة (مع أطيب تمنياتى) أما التوقيع فكان باسم: أم كلثوم إبراهيم. وفى الاســتراحة التالية بعد الوصلة الثانية تجاذبنــا الحديث مع أحمد رامى الذى لم يخف عنا تضرره من بعض العبارات التى وردت فى الأغنية التى قدمتها أم كلثوم فى وصلتها الأخيرة، وذكــر رامى على وجه التحديد عبارة (وقطعنــا الأمل بأيدينا) وقال لى: (قل لى رأيك أنت كشاب، فربما كنت أنا موضة قديمة، هل تعجبك مثل هذه العبارة؟).

وتواصل الحديث بيننا وعرف أحمد رامى أننى وشقيقتى أحفاد جدى لوالدتى المرحوم محمد شتا الذى كانت تعرفه أم كلثوم جيدا والتى ظلت على علاقة بأسرته فترة طويلة فى الأربعينيات، فصاح أحمد رامى: موش معقول! ونهض على الفور من مقعده وهو يســحبنا من أيدينا قائلا إنه يجب أن يأخذنا معه لمقابلة أم كلثوم، فقلنا له إننا قابلناها بالفعل منذ قليل، فسألنا: وهل قلتما لها إنكما حفيدا شتا بك؟ قلنا: لم نقل لها غير اسمينا، فصاح: لا لا لا يجب أن نذهب إليها ثانية إنها ستسعد بكما جدا.

كان المرحوم محمد شتا بك الذى توفى عام ١٩٤٦م رجل أعمال عصاميا ترك عائلته فى دســوق بكفر الشــيخ وجاء إلى القاهرة فصنع الملايين بساعديه وحده، وكان صديقا حميما

لطلعت حرب باشا ومن عشاق فن أم كلثوم، وقد سمع محمد شتا من صديقه طلعت حرب أن ستوديو مصر يعتزم تقديم فيلم سينمائى جديد لأم كلثوم بعد النجاح الساحق الذى حققه فيلمها الأول (وداد) عام ١٩٣٦م، فتحمس شتا بك للمشروع وقرر أن يتبرع بميزانية الفيلم الجديد بالكامل إسهاما فى جهود صديقه طلعت حرب مؤسس استوديو مصر وإعجابا بأم كلثوم وفنها، وهكذا تم بالفعل إنتاج فيلم (نشيد الأمل) فى العام التالى مباشرة لعام إنتاج فيلم (وداد).

وقد ظلت أم كلثوم تذكر للمرحوم محمد شتا هذا الجميل فما كان يدعو بعض رجالات هذا العهد على العشاء فى منزله بشارع أمين الرافعى بك بالجيزة (وقد تحول الآن إلى مدرسة) إلا وكانت أم كلثوم تحيى له الحفل.

ولدى قصاصة صحفية أصفر ورقها وجدتها ضمن أوراق والدتى بعد وفاتها، وهى تحمل عنوان (حفلة تكريم رفعة أحمد حسنين باشا) وتقول: (أقام الوجيه المعروف محمد شتا بك حفلة ساهرة كبرى مساء السبت الماضى لتكريم صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا كان فى مقدمة حاضريها صاحب الدولة الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء، ورأينا فيها من أصحاب المعالى الوزراء الدكتور محمد حسين هيكل باشا وحافظ رمضان باشا ومكرم عبيد باشا ومحمود غالب باشا ودسوقى أباظة بك وإبراهيم عبد الهادى بك وأحمد عبد الغفار باشا والسيد سليم بك، ومن كبار موظفى القصر وأصحاب السعادة إسماعيل تيمور باشا وعمر فتحى باشا ويوسف جلاد باشا وحسن يوسف بك والدكتور فؤاد رشيد بك.. و..

ويمضى الخبر فيقدم سجلا كاملا لكبار رجالات ذلك العصر، فيقول: ومن رجال الأحزاب والوزراء السابقين والمديرين وكبار الموظفين ومديرى البنوك المصرية والأجنبية فلان بك وفلان باشا، فى قائمة لا تنتهى، ثم يقول الخبر فى النهاية:

وبعد أن تناول المدعوون العشاء فى مقصف جمع أفخر ألوان الطعام ظلوا يستمعون إلى فنانة الشرق الآنسة أم كلثوم إلى ساعة متأخرة من الليل.

وقد عجبت بحسى الصحفى من ذلك الخبر القديم الذى اهتم بقائمة المدعوين فسجل كل أسمائهم وألقابهم واحدا واحدا دون أن يهتم بتوضيح مناسبة التكريم التى أقيمت من أجلها تلك (الحفلة الساهرة الكبرى) والتى أغلب الظن أنها كانت بسبب تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكى.

وحين زوج شـتا بك كبرى كريماته إلى والدى بعد ذلك بسـنوات كانت أم كلثوم أيضا هى التى أحيت حفل الزواج، وقد وجدت بين أوراق المرحومة والدتى بطاقة الدعوة لحفل زواجها التى كان يحمل على غلافها رسـما لهلال وثلاث نجوم وحملت فى داخلها هذه الكلمات المطبوعة:

(محمد السـلماوى بك، ومحمد شتا بك، يتشـرفان بدعوة.. بحضور زفاف نجل الأول علـى كريمة الثانى، السـاعة الثامنة يـوم الثلاثاء ٢٨ مارس سـنة ١٩٤٤م حيث تطرب الحضور الآنسة أم كلثوم.

ولقد استمرت علاقة أم كلثوم بالمرحوم محمد شتا وأسرته إلى أن توفى فى عام ١٩٤٦، وقد كان أحمد رامى مهتما جدا بتلك القصة، فأخذ طوال طريقنا إلى كواليس المسرح للقاء أم كلثوم يستمع إلينا باهتمام وكأنه يسترجع ذلك التاريخ من الذاكرة، فكان كلما قلنا شيئا يقول: أيوه، أيوه طبعا، وقد ظل طوال الوقت ممسـكا بيدى وكأنه يخشـى أن أهرب منه فـى الطريق أنا وشـقيقتى، وقـد عرفت فيما بعد أنه كان دائم البحث عن أى عذر يسـمح له بالدخـول إلـى أم كلثوم فى اسـتراحة حفلاتها، ولذلك فحين قال لهـا بمجرد دخولنا عليها، وقد كانت جالسـة على كرسـى فى مقدمة المسرح: شوفى أنا جبت لك مين؟ دول أحفاد شتا بك! قالت له أم كلثوم وهى تكاد توبخه بنظراتها: ما هم كانوا لسه عندى!

وقـد أخذت أم كلثوم ترحب بنا حتى لا نشـعر بالحرج وأخـذت تتحدث عن المرحوم محمد شـتا فتقول ده كان باشـا كبير، ثم قالت لنا: لو كنتم أخبرتمونى فى المرة السـابقة أنكم أحفاده لكنا وفرنا على رامى تعب المجئ بكم مرة ثانية، فقلنا: على ما يبدو أن ذكرى المرحوم محمد شتا قد أحيت بعض ذكريات الأستاذ أحمد رامى فأراد أن ينقلها إليك.

فقالـت أم كلثوم بسـرعة: لا تصدقوه، إنه لم يكن يعرف شـتا بك ولا عمره شـافه! فارتبكنا قليلا أنا وشـقيقتى، ثم قلت: لقد كان من حسـن حظنا أننا سعدنا بلقائك مرتين فى ليلة واحدة، فقالت فى رقة: أهلا بكم ألف مرة.

فـى تلـك الأثناء كان أحمد رامى قد فقد اهتمامه تماما بقصة المرحوم محمد شـتا التى كانـت موضوع حديثنا مع أم كلثوم، فقد أخذ يـد أم كلثوم بين يديه الاثنتين وظل يربت عليها وهو يسـألها كلما توقفت عن الحديث معنا عن أحوالها، مما أوحى لنا بأنه لم يكن قد قابلها منذ فترة، وكما سـعدت بلقاء أم كلثوم للمرة الثانية، سـعدت أيضا بأننا حققنا له رغبة لا بد أنها كانت عزيزة عليه.

❑❑❑

مادلين أولبرايت:
حرب العراق لم تكن ضرورية

أظهرت مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق شجاعة فائقة خلال زيارتها الأخيرة لمصر فى يناير من العام الماضى، حين انتقدت السياسة الخارجية لإدارة الرئيس جورج بوش وخاصة قرارها خوض الحرب فى العراق، وقالت لى أولبرايت: إن بوش أقحم الولايات المتحدة فى حرب لم تكن ضرورية.. بل كان من الضرورى – على حد قولها – أن تحاول الولايات المتحدة تفاديها..

مادلين أولبرايت

لم أكن من المعجبين بمادلين أولبرايت أول وزيرة للخارجية فى تاريخ الولايات المتحدة، ولم يكن وجهها يبعث على الثقة، فكثيرا ما ذكرتنى بأنفها المعقوف ونظراتها الحادة بالصقر المباغت الذى ينتظر اللحظة المناسبة كى ينقض على فريسته.

ولقد كنت فى الأمم المتحدة بنيويورك حين رأيت أولبرايت وهى تنقض على السكرتير العام المصرى الدكتور بطرس غالى والتى بذلت كل ما تحتكم عليه من مقدرة كى تخرجه من المنظمة الدولية قبل انتهاء فترة رئاسته.

كانت أولبرايت فى ذلك الوقت المندوبة الدائمة للولايات المتحدة فى المنظمة الدولية وكانت كل كلمة تنطق بها وكل حركة تأتى بها تشير إلى أنها تريد أن تؤكد للجميع أنها مندوبة الدولة العظمى فى هذا العالم وأن أوامرها يجب أن تطاع، وقد أوصلها هذا الأسلوب إلى قدر من الصلف فى تعاملاتها داخل الأمم المتحدة لم تكن تروق للكثيرين وعلى رأسهم السكرتير العام نفسه سليل مدرسة الدبلوماسية الأوربية التى تحافظ على

البروتوكـــول وتراعى اللياقة فـــى التعامل، وقد كان يتردد فى أروقة الأمم المتحدة فى ذلك الوقت أن الســـكرتير العام وصف تصرفات المندوبة الأمريكية بالسوقية وأنها على أثر هذا الوصف قالت: إن ذلك السكرتير العام المصرى لن يبقى فى موقعه بعد اليوم.

وسواء كانت هذه الرواية صحيحة أم غير صحيحة، فإن المؤكد هو أن الولايات المتحدة هـــى التى كانت وراء خروج بطرس غالى قبل موعـــده، وأن مادلين أولبرايت كانت الأداة الرئيسية فى تحقيق ذلك.

من أجل ذلك كله لم تكن مادلين أولبرايت من الشـــخصيات المفضلة لدىّ، ولم أســـع بعد تعيينها وزيرة للخارجية أن أقابلها بصفة شخصية، لكن ذلك بالطبع لم يقلل احترامى لها كواحـــدة من أهم وزراء الخارجية الأمريكية فى الســـنوات الأخيرة، ولا لقصة كفاحها التى بدأت بمولدها فى بلاد التشـــيك عام ١٩٣٧م، ثم هجرتها مع الأســـرة إلى الولايات المتحدة وهى فى الـ ١١ من عمرها وانتهاء بتوليها منصب وزيرة الخارجية كأول امرأة فى التاريخ الأمريكى تتبوأ هذا المنصب الرفيع.

ولقـــد كان اســـم مادليـــن أولبرايت عند مولدهـــا هو مارى جانا كوربيلوفا وهى ليســـت يهودية، كما كان يقال، لكنها كاثوليكية من أصل يهودى، وقد تزوجت عام ١٩٥٥م وكان اسم زوجها جوزيف أولبرايت، وهكذا غيرت اسمها إلى أولبرايت واتخذت لنفسها الاسم الإنجليزى المرادف لمارى جانا وهو مادلين، وبرغم أنها طُلقت من زوجها فى عام ١٩٨٢م فإنها ظلت محتفظة باسمه وهو الاسم الذى عرفت به فى حياتها العملية.

حين جلست إلى العشاء مع مادلين أولبرايت لأول مرة على مائدة الصديق طاهر حلمى رئيس غرفة التجارة الأمريكية ونجل الوزير الأســـبق ســـمير حلمى لاحظت لأول مرة تلك الابتســـامة التى لم تكن تظهر كثيرا على وجه أولبرايت أثناء ســـنواتها كوزيرة للخارجية أو ربما أننا لم نكن نتوقف كثيرا عند مثل هذه الابتســـامات، فلم يكن يعلق بذهننا إلا تلك النظرات الحادة التى تنظر بها الصقور إلى فريستها.

هـــذه المرة لم يكن لمادلين أولبرايت ذلك الوجـــه الذى يذكرك بالطيور الجارحة، فقد بـــدت امـــرأة طيبة القلب وهى تتحدث عن أحفادها وكيف أنها أصبحت الآن تقضى معهم أفضل أوقاتها، وكانت طوال حديثها تفيض حنانا. ومن خلال تلك الابتســـامة التى كانت

أكثر ما لفت نظرى فى وجه مادلين أولبرايت فى تلك الليلة.

كانت مادلين أولبرايت ترتدى فستانا أسود على قدر لا بأس به من الأناقة ومع ذلك بدت كالجدة البدينة والتى زادت من بدانتها تلك القامة القصيرة التى لم تخفها كعبا حذائها العالية.

كانت مادلين أولبرايت فى زيارة لمصر بوصفها رئيسة للصندوق الوطنى الديمقراطى فى الولايات المتحدة وكان يشاركها فى هذه الرحلة عضو الكونجرس فين ويبر. وفى الوقت الذى كانت أولبرايت تنتمى للحزب الديمقراطى كان ويبر جمهوريا، ومع ذلك فقد كان هناك اتفاق كامل فيما بينهما حول ضرورة تطبيق الديمقراطية فى العالم العربى، وكان هذا هو موضوع زياراتهما.

سألت أولبرايت، هل تعتقدين أن إدارة الرئيس بوش جادة فى رغبتها تطبيق الديمقراطية فى العالم العربى؟.. قالت: إن ما أستطيع أن أؤكده لك هو أن الولايات المتحدة جادة فى ذلك، فأنا هنا لا أمثل إدارة الرئيس بوش، وإنما أمثل صندوق الديمقراطية الذى هو هيئة قومية مستقلة عن البيت الأبيض.. وسأقوم بعد انتهاء هذه الزيارة بتقديم تقرير حول الوضع الديمقراطى فى هذا الجزء من العالم وتوصياتى حول نوعية المساعدة التى يمكن للولايات المتحدة أن تقدمها لدفع عجلة الديمقراطية إلى الأمام.

وحاولت أن أتعرف من مادلين أولبرايت على الاتجاهات العامة التى سيتضمنها تقريرها للإدارة الأمريكية، لكنها قالت إنها لم تنته من زيارتها بعد. لذلك فهى لا تعرف مسبقا ماذا سيكون فى التقرير، لكنى تابعت هذا الموضوع خلال وجود أولبرايت فى مصر إلى أن توصلت لمعرفة بعض جوانب التقرير الذى وضعته وزيرة الخارجية السابقة مع زميلها عضو الكونجرس، وقد كان أكثر ما توقفت عنده هو الجزء الخاص بالإخوان المسلمين فى هذا التقرير والذى علمت أنه تضمن توصية صريحة بضرورة الاستعداد للتعامل مع الإخوان لأنهم فى الفترة القادمة سيكون لهم موضع لا يمكن تجاهله على الساحة السياسية فى مصر.

وقد تذكرت ذلك بعد مرور بضعة أشهر حين جرت انتخابات مجلس الشعب فى نهايات نفس العام وفتح المجال أمام الإخوان المسلمين ليحتلوا لأول مرة ٨٨ مقعدا فى مجلس الشعب.

على أن الموضوع الذى كان يشغلنى وأنا جالس مع مادلين أولبرايت فى تلك الليلة

لم يكن النتائج التى حققها الإخوان فى الانتخابات التى لم تكن قد جرت بعد، إنما حرب العراق، وهكذا سألت وزير الخارجية الأسبق: لو كنت مازلت وزيرة لخارجية الولايات المتحدة ماذا كنت ستفعلين إزاء الحرب فى العراق؟

فقالت بسرعة وقد اختفت من على وجهها ابتسامة الجدة العجوز: لو كنت وزيرة للخارجية لما كانت الحرب فى العراق قد قامت أصلا، ثم قالت: إن الحرب فى العراق كانت حربا اختيارية اختارت الإدارة الأمريكية أن تخوضها بمحض إرادتها، ولم تكن حربا ضرورية بأى حال من الأحوال.. سألتها: ما هو فى رأيك أهم ما خسرته الولايات المتحدة فى تلك الحرب؟

قالت: إننى لا أعرف سياسة أمريكية تسببت فى كراهية العالم للولايات المتحدة مثلما فعلت الحرب فى العراق.

قلت: هل تلك هى أهم نقطة تعارضين فيها السياسة الخارجية الحالية للولايات المتحدة؟

قالت: نقطة أخرى مهمة هى أن السياسة الخارجية الحالية لا تعطى لقضية الشرق الأوسط الأهمية التى كنا نعطيها لها فى فترة الرئيس بيل كلينتون، ويبدو أن أهم ما يشغل بال البيت الأبيض الآن فى الشرق الأوسط هو الحرب فى العراق، كما أن عدم وجود سياسة واضحة لكيفية الخروج من العراق هو أيضا من الأمور التى تقلقنى فى السياسة الخارجية للإدارة الحالية.

❑❑❑

الأمير حسين طوسون:
جدى يملك اتحاد كتاب مصر!

كنت متطلعا مع مجموعة من أعضاء مجلس اتحاد الكتاب إلى استقبال وفد فرنسى يمثل جمعية أصدقاء قناة السويس لبحث سبل التعاون فيما بيننا، وكنا قد أعددنا بعض التصورات لعقد ندوات ومؤتمرات لأعضاء الاتحاد من الكتاب المصريين ما بين القاهرة وباريس، لكن آخر ما كنت أتوقعه هو أن يكون من بين أعضاء الوفد الفرنسى من يمكن أن يطالب بإخلاء مقر الاتحاد قائلا إن المبنى ملك لجده!

كنت على موعد مع ضيف فرنسى كبير هو آرنو دى فورتانيه رئيس جمعية أصدقاء قناة السويس الذى حضر إلى اتحاد كتاب مصر عارضا إقامة تعاون ثقافى بين الجمعية الفرنسية والاتحاد.

ولما كان الاهتمام الأساسى للجمعية يدور حول قناة السويس، فقد اقترحت عليهم بحث إمكانية أن نقيم ندوتين ثقافيتين بالتبادل بين القاهرة وباريس يكون موضوع البحث فيهما هو العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا منذ افتتاح قناة السويس، وقد نتطرق فى البحث إلى التأثير المتبادل بين الثقافتين فى مجال الأدب بشكل خاص من خلال كبار كتابنا من أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهما.

وقد تحمس الجانب الفرنسى لموضوع الندوة وحضره وفد من الجمعية كان فى زيارة للقاهرة إلى مقر اتحاد الكتاب للتباحث فى هذا الموضوع.

وقد أنشئت جمعية أصدقاء قناة السويس فى أوائل السبعينيات الماضية وكان صاحب فكرة إنشائها هو جان بول كالون المستشار الاقتصادى للرئيس الفرنسى السابق شارل ديجول والذى فاوض الرئيس جمال عبد الناصر لتعويض المساهمين الفرنسيين بعد تأميم القناة، وقد روى لى مسيو كالون إن الحكومة المصرية قامت بالفعل بتعويض جميع حاملى الأسهم الفرنسية وأن مبلغ التعويضات زاد على ٢٠ مليون جنيه مصرى فى ذلك الوقت.

وقد تم إنشاء بنك جديد بهذا المبلغ كان اسمه بنك الهند السويس Indosuez والذى تضخم فى أعماله التجارية على مدى السنين حتى تحول الآن إلى مجموعة شركات

تجاريــة هى السادســة عالميا فى مجال الماء والكهرباء، وتزيــد ميزانيتها على ٥٤ مليار يورو، وخوفا من أن تنسى مجموعة السويس أصولها التاريخية، فقد فكر جان بول كالون فــى إقامــة هذه الجمعية التى يصفها بأنها قلب الشــركة، وقد جعل مقرها داخل مكاتب شركة السويس نفسها، وجعل مهمتها هى الإبقاء على علاقات التعاون الوطيدة التى كانت قائمة بين مصر وفرنســا فى عصر قناة الســويس اعتمادا على أن هذه الشركة العملاقة تدين بوجودها للمبلغ الذى دفعته مصر فى عصر الرئيس عبد الناصر لمؤسيسها.

مــن هنا فقد عرف عن الجمعية منذ إنشــائها تأييدها لمصر حتى وإن كان لأعضائها منذ البدايــة موقفا معاديا للعدوان الثلاثى عــام ١٩٥٦م، وقد أخذت الجمعية على عاتقها بعد انتهاء الحرب (ترميم العلاقات) بين البلدين على حد تعبير مسيو كالون الذى لعب بصفة شــخصية دورا كبيــرا فــى هذا الصدد بمــا كان يتمتع به من علاقات جيــدة مع الجانب المصرى.

ويتركز نشاط جمعية أصدقاء قناة السويس على المجال الثقافى فقط مستفيدة من الأموال الهائلة التى تحتكم عليها شركة السويس حاليا، وهى تعمل على توجيه بعض هذه الأموال إلى تدعيم العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا، وفى هذا الصدد فقد قامت الجمعية أخيرا بإهداء جميع وثائق قناة السويس التى كانت فى حوزتها إلى مكتبة الإسكندرية، أما سبب زيــارة وفد الجمعية فى الأســبوع الماضى، إلــى مصر فقد كان للاتفاق مع ســلطات قناة السويس على إقامة متحف للقناة فى الإسماعيلية ستتكفل الجمعية بنفقاته كاملة.

وقــد حضر إلى مصر لهذا الغــرض آرنو راميير دى فورتانيه الرئيــس الجديد لجمعية أصدقاء قناة الســويس وهو ســليل إحدى الأسر الفرنسية العريقة والتى لعبت دورا تاريخيا فى البحرية الفرنسية، وجان بول كالون الذى أصبح الآن الرئيس الفخرى للجمعية والمصرى حسين طوسون نائب الرئيس.

وقــد رحبت بالوفد الفرنســى وقدمت لهــم زملائى من أعضاء المجلــس الذين حضروا اللقاء، وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث قبل أن نبدأ جلســة العمل مال على حســين طوســون وقال وعلى وجهه ابتســامة مشــرقة يعرفها كل أصدقائه: شــكرا على استقبالى والترحيب بى فى بيتى!! فسكت الجميع وسكت معى وعلت وجوههم الدهشة للحظات، ثم نظرنا إلى بعضنا البعض وانفجرنا جميعا فى الضحك، فضيفنا المصرى حسين طوسون

هو حفيد الأمير السابق عمر طوسون الذى كان يملك القصر الكائن بالعنوان الحالى لاتحاد الكتاب وهو ١١ (أ) شارع حسن صبرى بالزمالك، وذلك قبل أن تصادر أملاك العائلة المالكة وتسحب منهم الجنسية ويغادرون البلاد، وحسين طوسون كان أحد هؤلاء فجده عمر طوسون هو حفيد الخديو محمد سعيد بن محمد على، وقد كان سعيد هو الذى اتفق مع فرديناند دى لسيبس على شق قناة السويس، وإن كانت القناة قد افتتحت فى عهد الخديو إسماعيل ابن شقيق إبراهيم باشا، لذلك فبرغم ارتباط اسم الخديو إسماعيل بقناة السويس فإن الحقيقة أن سعيد الجد الأكبر لحسين طوسون هو صاحب قرار شقها وقد بدأ العمل فى القناة فى عهده وليس فى عهد إسماعيل، ومن هنا جاء ارتباط حسين طوسون بجمعية أصدقاء قناة السويس التى يشغل فيها منصب نائب الرئيس.

وإزاء الدهشة التى ارتسمت على وجه بعض الزملاء قلت لحسين طوسون: نعم لقد كان هذا هو قصر جدك البرنس عمر طوسون، فقاطعنى قائلا وهو مازال يضحك: لا، القصر هو المبنى الكبير الذى فى الحديقة، أما هذا المبنى فقد كان مكاتب السكرتارية قلت: إن القصر الآن تابع لمجلس الوزراء، أما هذه المكاتب فهى وحدها مقر اتحاد الكتاب، وقمنا جميعا مع حسين طوسون فى جولة داخل غرف اتحاد الكتاب حيث أشار إلى إحداها قائلا: كانت هذه غرفة زكى أفندى سكرتير جدى الذى كان يقوم بكتابة الخطابات ويتلقى ما يصلنا منها وهذه كانت غرفة فلان، وتلك غرفة علان..

وبدأ حسين طوسون وكأنه قد استعاد طفولته مرة أخرى وهو يتجول بين غرف الاتحاد فيتذكر ما كان فيها حين كان طفلا صغيرا، فقد ترك مصر بعد الثورة وهو فى الـ ١٤ من عمره ثم مكث ٢٥ عاما يعيش فى فرنسا بلا جنسية إلى أن قرر الرئيس السادات فى السبعينيات إعادة الجنسية لجميع أفراد الأسرة المالكة فعادت الجنسية المصرية إلى حسين طوسون مرة أخرى، وهو الآن لا يدخل إلا بجواز سفره المصرى والذى يحرص على تجديده فى موعده.

وفى جلسة العمل شارك معنا حسين طوسون فى بحث ما يمكن أن نعمله من نشاط ثقافى مع جمعية أصدقاء قناة السويس باعتباره نائب رئيسها، وعند مغادرة الوفد لمقر الاتحاد لمح غرفة الحارس فى الحديقة فعادت إلى وجهه الابتسامة وهو يقول: فى غرفة الحارس هذه تلقيت دروسى الأولى فى اللغة العربية، فقد كان والدى سعيد طوسون يحرص

على أن نتعلم اللغة العربية والقرآن الكريم، وكان الشـيخ يأتى إلى هنا وكنت أجلس معه فى هذه الغرفة على سجادة على الأرض أتلقى الدرس.

قلت مداعبا كان هذا عصرا آخر، أما فى هذا العصر فقد استقبلناك كما ترى فى غرف السـكرتارية وليس فى غرفة الحارس، أجلسـناك على مقعد وثيـر فى غرفة رئيس اتحاد كتاب مصر وليس على بساط على الأرض.

فرد بسـرعة: لقد أعدتم إلـىّ ذكريات حبيبة، وبرغم مقاعدكـم الوثيرة فقد كان بساطكم أحمدى!

❑❑❑

الأمير تشارلز:
أشعر بالامتنان لطباخ السفارة!

فى الوقت الذى قد تشـعر فيه بالحواجز الرسمية فى الحديث مع بعض المسئولين من الوزراء أو رؤسـاء الهيئات العامة، فإن الصفة الغالبة على الحديث مع الأمير تشـارلز أمير ويلز وولى العهد البريطانى هى البسـاطة وعـدم التكلف، فقد يمضى الأمير وقتا أطول مع إنسان بسيط مما يقضيه مع البعض الآخر من المسئولين الرسميين حتى لو كان هذا الإنسان هو طباخ السفارة البريطانية فى القاهرة.

وقـف أعضاء السـفارة البريطانية صفا طويلا أمام الأمير تشـارلز ولى العهد البريطانى ووقف السفير إلى جانب الأمير يقدمهم له واحدا واحدا فيقوم الأمير بالسلام عليهم وتبادل كلمة أو اثنتين مع كل منهم.

كان ذلك أثناء زيارة الأمير تشـارلز لمصر عام ١٩٩٥م والتى سبقتها زيارتان قصيرتان، الأولى كانت فى السـبعينات حين توقف اليخت الذى كان يقله لقضاء شـهر العسـل مع الأميرة ديانا فى بورسـعيد، والثانية فى عام ١٩٨١م حين شـارك فى تقديم العزاء فى وفاة الرئيس السادات.

كانت السـفارة البريطانية قد أعدت حفل اسـتقبال كبيرا لولى العهد دعت إليه عددا كبيرا من الضيوف، من المسـئولين والشـخصيات العامة، كان تشارلز قادما وحده، حيث لم يكن قد تزوج بعد من كاميلا باركر بولز التى أصبحت الآن دوقة كورنوول.

لكن الطابور توقف فجأة حين طال حديث الأمير مع أحد المارين أمامه فى الطابور، كان رجلا متقدما فى السن، توحى ملامحه ولون بشرته بأنه مصرى،وقد اهتم به تشارلز اهتمامـا خاصا وبدا لنا من بعيد كأن الأمير هو الذى يتوجه له بالسـؤال والرجل يجيب فى تواضع.

وحين جمعنى اللقاء بعد ذلك مع الأمير الزائر دار الحديث حول الإسـلام الذى كان تشـارلز يبدى اهتماما خاصا به قبل أزمة الرسـوم الدنماركية الأخيرة.. بل قبل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م فى نيويورك والتى ولّدت الاهتمام فى الغرب بالدين الإسلامى الذى

يستخدمه البعض كمبرر لبعض أعمال العنف التى هو منها براء.. كان الأمير تشارلز قد ألقى محاضرة فى جامعة أوكسفورد حول الإسلام وضرورة أن يفهم الغرب طبيعة هذا الدين السماوى الكريم الذى هو عقيدة ما يقرب من ربع سكان العالم، وأردت أن أتوقف عند رأيه هذا الذى كان يعبر فى ذلك الوقت عن موقف متقدم جدا عن الموقف الغربى السائد الذى لم يكن يهتم كثيرا بالإسلام ولا بالمسلمين، فقال لى: الإسلام هو أحد أهم الديانات فى تاريخ الإنسانية ولو لم يكن إلا هذا لكان ذلك كافيا كى ندرسه ونحاول فهمه الفهم الصحيح، فما بالك وهو دين أغلبية كبيرة تشترك معنا فى العيش على هذا الكوكب، وما لم نفهمها فإننا لن نفهم جزءا مهما من عالمنا المعاصر قلت: كنت أتصور أن يكون هذا هو منطق رجال السياسة فى الغرب والذين هم مضطرون للتعامل مع المسلمين إن لم يكن فى العالم الإسلامى، فعلى الأقل داخل الدول الغربية نفسها حيث توجد أعداد متزايدة من المسلمين يقيمون بينكم ويساهمون فى الحياة العامة ويدلون بأصواتهم فى الانتخابات.

فقال الأمير: معك حق لكن الاهتمام بالإسلام هو عندى أهم من الاعتبارات السياسية إنه واجب ثقافى وحضارى قبل أن يكون ضرورة سياسية، فالإنسان لا يكون مثقفا إذا اقتصرت معرفته على الدين الذى ولد عليه وعلى ثقافة اللغة التى تعلمها فى الصغر، الثقافة الحقيقية هى الانفتاح على الثقافات الأخرى التى تشاركنا حياتنا فى هذا العالم فتؤثر فينا بمثل ما تتأثر بنا.

قلت: لو كان هذا هو منطق رجال السياسة لما كان عندنا مشكلة فى العالم الإسلامى ولو فروا علينا الكثير من المصادمات.

ثم قلت: إنك تتحدث عن ضرورة الفهم المتبادل وهناك من المحللين الغربيين من يدعون لصراع الحضارات ومن حولنا يتفجر صراع الأديان.

قال: إن الأديان جميعا تنبع من عقيدة واحدة وإن اختلفت سبل كل دين وعلينا أن ننظر دائما للجوانب المشتركة فيما بيننا ونتفهم النقاط المختلفة، وهذا ما حاولت أن أقوله فى محاضرتى.

وإزاء اهتمامى بمحاضرة ولى العهد البريطانى والتى كنت قد قرأت ما نشر فيها من مقتطفات فى وكالات الأنباء وعدنى تشارلز بإرسال نسخة كاملة منها، وبالفعل وصلنى

بعـد أيام كتيب صغير يحمل النص الكامل للمحاضرة التى ألقاها عن الإسـلام فى جامعة أوكسفورد، وقد قدمها لى بإهداء خاص ومهرها بإمضائه الذى كان فى بساطة حديثه، فقد كان إمضاؤه من كلمة واحدة فقط هى (تشارلز) بلا أى ألقاب.

لقـد كانت تلك البسـاطة وعدم التكلف هى السـمة الأساسـية التـى لفتت نظرى فى شـخصية أميـر ويلز ولى عهد العـرش البريطانى، فتواضعه الجـم وتلقائيته فى الحديث كسـرت من اللحظة الأولى تلك الحواجز الرسـمية التى عادة ما تفرض نفسها حين يكون أطراف الحديث يلتقون للمرة الأولى.

وإزاء ذلك الشعور بالبساطة وعدم التكلف وجدت أنه لن يكون من غير اللائق أن أسأل تشارلز عن ذلك الرجل الذى أوقف طابور العاملين بالسفارة طويلا كى يتحدث معه، فقال على الفور وقد علت وجهه ابتسامة بريئة إنه رجل عظيم حقا، وهو مليئ بالذكريات.

قلت: يبدو إنه مصرى فهل يعمل بالسفارة؟

قال: نعم، فهو كبير الطهاة.

ثم روى لى تشـارلز أن السـفير قدمه له قائلا: أما هذا الرجـل فهو أقدم العاملين فى السفارة جميعا، فقد أمضى فى الخدمة أكثر مما أمضاه أى من العاملين هنا.

وقد وقف الأمير تشـارلز مـع الطباخ فترة أطول مما وقفها مع بقية العاملين بالسـفارة من الدبلوماسـيين أو الإداريين، وأخذ يسأله عن سـنوات خدمته فعرف أنها قاربت على الخمسـين عاما، وعرف أيضا أنه طهى لعدد كبير من الشخصيات البريطانية البارزة أثناء زيارة كل منهم لمصر، ابتداء من ونسـتون تشرتشـل وانتونى إيدن إلى الأميرة ديانا التى كانت قد قامت بزيارة مستقلة لمصر قبل الأمير تشارلز.

ولذلك فلم يكن غريبا أن يقول لى الأمير تشارلز: لقد وقفت طويلا مع هذا الرجل لأننى شعرت تجاهه بالامتنان بعد أن أمضى حياته كلها فى خدمة جلالة الملكة.

❑❑❑

أنديرا غاندى:
أعتذر عن موعدنا لأنى معتقلة!

كنت ومازلت من أشد المعجبين برئيسة وزراء الهند السابقة أنديرا غاندى ابنة زعيم الهند فى عصر ما بعد الاستقلال جواهر لال نهرو، ولقد قابلت أنديرا وهى فى أوج مجدها حاكمة آمرة ترفع رأسها عالية فى وجه القوى الكبرى فخرا واعتزازا ببلادها ذات التاريخ العريق، ثم شاهدتها وهى خارج الحكم تساق من بيتها فى سيارة الشرطة وفى يديها (الكلبشات) كالقتلة والمجرمين!

كنت فى عام ١٩٧٨م فى زيارة الهند بدعوة من رئيس وزرائها فى ذلك الوقت مورارجى ديساى الذى أتى بعد خروج الزعيمة الهندية الكبيرة أنديرا غاندى من الحكم محاولا إحداث انقلاب على سياساتها، وكأنه يريد محو كل آثارها السابقة، فبعد أن كانت غاندى تقف بصلابة فى وجه الولايات المتحدة اتساقا مع سياسة عدم الانحياز التى كان والدها أحد مؤسسيها مع جمال عبد الناصر وجوزيف بروز تيتو ارتمى ديساى فى أحضان الولايات المتحدة وطبق سياسة الانفتاح الاقتصادى، وقد كان فى ذلك يعبر عن اتجاه عام بين دول العالم الثالث فى ذلك الوقت والتى كانت تربطها خلال الخمسينيات والستينيات الماضية علاقات صداقة خاصة مع الاتحاد السوفيتى، ثم بدأت فى السبعينيات تتخلى عن تلك السياسة، وتتجه إلى الولايات المتحدة وقد وجدت أن الصورة لن تكتمل أمامى ما لم أقابل أنديرا غاندى وأستمع لوجهة نظرها فيما كانت تشهده بلادها من توجهات سياسية جديدة، وهكذا فاتحت المسئولين عن ترتيب زيارتى فى وزارة الخارجية الهندية فى رغبتى مقابلة رئيسة الوزراء السابقة وكان تصورى أنه فى بلد ديمقراطى مثل الهند لن يمثل ذلك أى حرج للحكومة الجديدة، لكنى كنت مخطئا لأن ما لم أكن أعرفه آنذاك هو أن الحكومة كانت تستعد فى تلك الأثناء لإلقاء القبض على أنديرا غاندى.

كان الرد الرسمى الذى جاءنى ردا دبلوماسيا، حيث قيل لى إنه لا حجر علىّ فى أن ألتقى بمن أريد فى الهند، لكن الحكومة لظروف سياسية سيتعذر عليها ترتيب مثل هذا اللقاء، ففهمت الرسالة وبدأت أبحث من خلال أصدقاء لى فى الهند عمن يستطيع

مســاعدتى وكان من بينهم أحد العاملين فى وكالة من وكالات الأمم المتحدة ويدعى مستر جوبتــا الذى تمكن من إعطائى رقم تليفون أنديرا غاندى فســارعت بالاتصال بها، حيث كانت غاية فى الذوق فشــكرتنى على أننى مازلــت أرغب فى مقابلتها برغم خروجها من الحكم، وقلت لها إننى فى الهند لبضعة أيام فقط فحددت لى موعدا فى اليوم التالى.

وقد سيطرت علىّ فكرة اللقاء مع أنديرا غاندى لدرجة أنها بدأت تطغى على اهتمامى بمن كنت ألقاهم من المســئولين وبدأت أزن كل ما يقولونه لى متســائلا: ترى ماذا سيكون رأى أنديرا غاندى فى هذا؟

وأخيــرا جاء موعد اللقــاء المرتقب وذهبت إلى منزل أنديــرا غاندى لأول مرة، فحين لقيتها فى الســابق كان ذلك فى البيت التابــع لرئيس الوزراء، أما الآن فكانت قد انتقلت إلى منزلها الخاص فى أحد ضواحى نيودلهى، وحرصا على ألا أســبب حرجا للمسئولين طلبت من سائق السيارة التى خصصوها لى أن يتركنى على مقربة من البيت على أن أمشى المسافة المتبقية على قدمى.

كان منــزل أنديــرا غاندى يقع فى ميدان صغير وكانت حديقته لها باب خشــبى على الميدان ومن هذا الباب إلى باب المنزل نفسه كان هناك ممشى رملى قصير، وحين وصلت على قدمى إلى الميدان وجدت حشــودا هائلة من البشــر تحول دون ظهور البيت، لكنى لاحظت أن أبصار الناس جميعا كانت شاخصة نحو (الفيلا) التى أيقنت أنها منزل أنديرا فســلكت طريقى بصعوبة بين الجموع، وأنا حريص على ألا أتأخر عن موعدى الذى كان باقيــا عليه بضــع دقائق، وحين وصلت أخيرا إلى بــاب الحديقة الخارجى وجدت عليه قوات أمن تمنع الدخول أو الخروج، ثم كانت المفاجأة التى لم أكن أتوقعها حين وجدت رئيسة وزراء الهند السابقة التى كانت ملء السمع والبصر والتى وقفت تتحدى القوة الكبرى وهى تخرج من باب بيتها وتســاق عبر الممر الرملى الموصل إلى الباب الخارجى للحديقة وعلى جانبيها ضباط الشرطة الهندية وفى يديها (الكلبشات)!!

وقفت فاغرا فاهى من هول المفاجأة غير قادر على الكلام ولا على الحركة قد تســمرت يدى على الباب الخشــبى للحديقة إلى أن وصلت إنديرا غاندى إلى حيث أقف فنظرت إلىّ برهة ثم قالت فى هدوء: آسفة يبدو أننى لن أستطيع المحافظة على موعدنا!

ثم مضت دون أن تنتظر ردا ومضى معها بصرى إلى أن ســيقت وســط صياح الجماهير إلى سيارة الشرطة (البوكس) من الخلف ومضت السيارة هى الأخرى حتى اختفت عن الأنظار.

هنا فقط بدأت أحس بما يجرى من حولى، كان الناس يصرخون تأييدا لأنديرا غاندى ويهتفون بسقوط حكومة مورارجى ديساى، وكان البعض يحمل اللافتات التى كتب بعضها بالإنجليزيـة والبعـض الآخر باللغة الأوردية، وقد كان هذا هو الحال منذ أنزلتنى سـيارة الحكومـة بالقـرب من الميدان، لكنى لم أكن أعرف سـبب هذا الاضطـراب، فالهند بلد مزدحـم بالنـاس والزحام فى أى ميدان عام لا يلفت النظـر كثيرا، كما أن تلك الفترة بعد سـقوط أنديرا وتولى حكومة ديساى اليمينية كانت فترة اضطرابات فقد شاهدت الكثير من المظاهرات فى الشوارع ووجود مظاهرة بالقرب من منزل أنديرا غاندى لم يبد شيئا غريبا، لكن بعد أن تم إلقاء القبض على أنديرا غاندى أمام عينى أدركت أن التجمهر حول بيتها لم يكن عاديا وأن تلك المظاهرات لم تكن مثل غيرها..

وقفت مذهولا غير قادر على الحراك، فها هى ذى سيدة الهند الحديدية ذات النظرات الفولاذية والتى تعلو رأسـها خصلة الشـعر الفضى التى ميزتها كمـا تميز الجواد الأصيل شـهبته البيضاء، ها هى ذى إنديرا غاندى رئيسـة الوزراء ذات اليمنة وصاحبة الشخصية الآسرة القوية وقد وضعت فى (الكلبشات) وسيقت إلى حيث لا أعرف.

تنبهت فجأة إلى أن الميدان قد خلا إلا من بعض المارة وأن المظاهرات زحفت خلف ركب رئيسة الوزراء بعيدا فاتجهت عائدا إلى الفندق سيرا على الأقدام وأنا غير قادر على مناداة (تاكسـى) أو التفكير فى أى شـىء غير ما رأيته بعينى، وحين وصلت إلى الفندق بـدأت أفكر ماذا أنا فاعـل بهذه الواقعة؟.. لقد كنت أتوقـع أن يكون حديثى مع أنديرا غاندى موضوعا صحفيا له قيمته فى تلك الظروف التى كانت تمر بها الهند، لكنى أدركت بعـد أن تمالكت نفسـى وزالت عنـى آثار الصدمة أن أنديرا قـد أعطتنى بما حدث ودون أن تقصد موضوعا صحفيا فريدا تزيد قيمته على أى حديث كان يمكن أن أجريه معها وهى خارج الحكم.

❑❑❑

توفيق الحكيم:
الأمم المتحدة تنصب علىّ!

كنت فى صالة التحرير بجريدة (الأهرام) حين اتصل بى توفيق الحكيم ليسألنى إن كان لدى متسع من الوقت كى أصعد إليه فى مكتبه بالدور السادس، وأوضح لى الكاتب الكبير أن لديه عقدًا من هيئة اليونسكو لطبع ترجمة لبعض كتبه وأنه يريد رأيى فى بنود العقد قبل أن يوقعه، حيث إنه على موعد مع ممثلى اليونسكو بعد نصف ساعة ليتسلموا منه العقد، قلت: سأكون عندك قبل أن يحضروا.

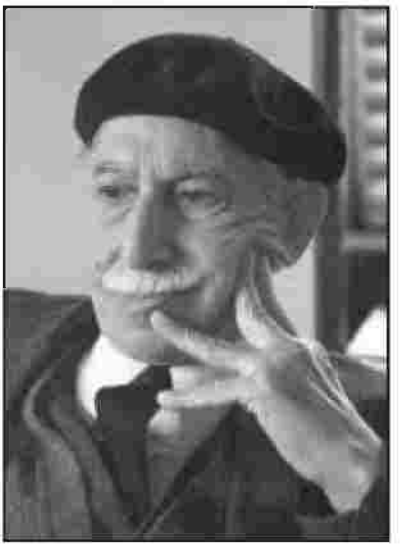
توفيق الحكيم

ما إن دخلت على الأستاذ توفيق الحكيم فى مكتبه حتى تهلل وجهه وهو يقول لى: حسن أنك حضرت فالمسألة جد خطيرة ثم دفع إلىّ بصورة عقد كان موضوعا أمامه على المكتب وقال لى انظر، هذا هو العقد الذى أرسلته لى وكالة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة وكانوا قد اتصلوا بى يسألوننى إن كنت أوافق على ذلك من حيث المبدأ فقلت لا مانع فأرسلوا لى هذا العقد، والآن هم فى مصر ويريدون أن يتسلموا العقد موقعا عليه منى وأنا قلق جدا، قلت: لماذا يا توفيق بك؟ قال خلاص راحت السكرة وجاءت الفكرة فلم أفهم مقصده وقلت: هل هناك شىء يقلقك فى هذا العقد؟.. قال مؤكدا أن هناك شيئا ما فقد طلبت منهم أن يكون العقد بالفرنسية وبالأمس حين أردت مراجعته قبل مجيئهم اليوم وجدت أنهم تحايلوا علىّ وأرسلوه بالإنجليزية لماذا؟.. لا بد أن وراء ذلك سببا ما فقلت ماذا تعنى؟.. قال نصبة يعنى! قلت من الأمم المتحدة؟ قال ولم لا؟.. فى الحال الجميع ينصبون وعلى أيه حال المية تكدب الغطاس ها هو ذا العقد وأنا أريدك أن تقرأه معى بعناية شديدة قبل أن يصلوا حتى نتبين ما فيه بالضبط فأنت تعرف أن ثقافتى فرنسية وليست أنجلوفونية.

وكنت أعرف أن توفيق الحكيم يقرأ الإنجليزية بسهولة وإن كان يفضل عليها الفرنسية وتصادف أن كان على مكتبه فى ذلك اليوم نسخة من جريدة (لوموند) الفرنسية التى كان يتابعها يوما بيوم وكثيرا ما كان يتناقش معى فى بعض ما ورد بها، لكن على نفس المكتب كانت هناك نسخة من مجلة (إنكاونتر) الأدبية التى كانت تصدر بالإنجليزية فى بريطانيا ثم توقفت بعد ذلك. ولاحظ الحكيم أننى لمحت المجلة الإنجليزية فقال: هذه نسخة قديمة من (إنكاونتر) أحضرها لى الدكتور لويس عوض لأن بها موضوعا عن شعر عزرا باوند، لكن طبعا قراءة العقود القانونية مسألة أخرى لا أقدر عليها!

لم أجادل كاتبنا الكبير وبدأنا نقرأ معا بنود العقد بعد أن وضع فى يدى نسخة وأمسك بالأخرى، وأخذت أقرأ العقد بندا بندا بصوت عال وهو يتوقف بعد كل بند ليقول لى: يعنى إيه؟.. فكنت أترجم له ما يتضمن البند، لكنه كان فى بعض الأحيان يقول: أليس من الجائز أن يكونوا يقصدون كذا وكذا – وكنت أفكر فيما يقول لأجد أنه ربما كان على حق، وكأنه هو الذى كان يشرح لى بنود العقد وأنا أقره على ما يقول، وقد استمرت قراءتنا للعقد بندا وراء بند دون توقف وبعد أن انتهينا قلت لتوفيق الحكيم: لقد فصصت العقد يا توفيق بك تفصيصا فماذا كنت ستفعل به لو كانت ثقافتك إنجليزية! قال ضاحكا: كنت سأستعين بك فى العقود المكتوبة بالفرنسية!! وشعرت أن الحكيم اطمأن قلبه إلى العقد فانفرجت أساريره بعد أن كان عابسا طوال قراءتنا للعقد وبحثه عما يمكن أن يشير إلى وجود عملية نصب، وكنت قد سمعت كثيرا عن تلك السمعة التى كان يطلقها توفيق الحكيم بنفسه حول حرصه على عدم إنفاق المال، فقلت له: لم أكن أتصور أنك دقيق إلى هذه الدرجة فى معاملاتك المالية، فقال لى بلا تردد: تريد أن تقول (بخيل)؟.. قلت: لا أقصد ذلك قال: بل هو كذلك ويااليتك تقول فى كل مكان أنك وجدتنى بخيلا بأكثر مما كنت تتصور، قلت: لماذا؟.. قال: حتى لا تأتينى الناس طالبة التبرع بالمال فى أشياء لا يمكن أن تتخيلها، ثم أخرج من درج مكتبه خطابا مكتوبا بقلم (كوبيا) على ورق مسطر وقال لى: هذا خطاب وصلنى منذ زمان وأنا أحتفظ به لأنى أريد أن أعرضه على طبيب يجلس معى على المقهى ليقول لى مدى صحته، لكن الطبيب مسافر فى الخارج وسيعود بعد عدة أشهر، ثم شرح لى الحكيم أن الخطاب من رجل يطلب فيه المال، لأن حالته الصحية سيئة، وقد أورد فى خطابه قائمة من الأمراض قال إنه مصاب بها وقال لى الحكيم وقد رفع حاجبيه المكثفين: أنا متأكد أن نصف هذه الأمراض لو أصابت أى إنسان لتوفى

فى التو واللحظة، ولو كان هذا الرجل قد وصلته سمعتى هذه لما أرسل لى هذا الخطاب، قلت: ولم الاحتفاظ بالخطاب حتى الآن، لابد أن صاحبه قد مات إن لم يكن بسبب تلك الأمراض فبفعل السنين التى أمضاها الخطاب فى درج مكتبك؟ فقال لى الحكيم: معك حق، ومزق الخطاب قطعا صغيرة ورماه بارتياح فى سلة المهملات.

وقد سمعت بعد ذلك من الأستاذ نجيب محفوظ أنه فى المرة الأولى التى قابل فيها توفيق الحكيم تعرف على (حرصه) هذا من اللحظة الأولى، فقد كان الحكيم قد قرأ لنجيب محفوظ وأعجب به، لكنه لم يكن قد قابله قط، ولما كان الأديب الراحل ثروت أباظة صديق مشترك للطرفين فقد طلب منه الحكيم أن يدعو نجيب محفوظ ليتناول معه فنجان قهوة فى أحد المقاهى التى كان يجلس عليها الحكيم. وفى الموعد المحدد ذهب محفوظ للقاء الحكيم وما إن جلس على مائدته حتى جاء (الجرسون) يأخذ طلباتهم فسأله الحكيم ماذا يطلب فقال: فنجان قهوة فطلب الحكيم فنجان قهوة هو الآخر وتصور محفوظ أن الحكيم الذى دعاه لهذا اللقاء سيقوم بدفع الحساب، لكنه قال له بمجرد أن ذهب (الجرسون) ستقول لى إنك تريد دفع الحساب وسأصر على أن أدفعه أنا، فبدلا من أن نتجادل فى هذا الموضوع فليدفع كل منا حسابه وننتهى من هذا الأمر!

نظر توفيق الحكيم إلى العقد الذى أمامه مرة أخرى قبل أن يوقعه ثم أخرج قلما من الجيب الداخلى لسترته ووقع بتأن على النسختين ثم طوى إحداهما ووضعها مع القلم فى جيب سترته الداخلى ووضع الأخرى أمامه على المكتب.

وما هى إلا لحظات حتى حضر رجلان فى منتصف العمر فرحب بهما الحكيم وقدم لهما نسختهما من العقد قائلا بالإنجليزية: لقد وقعته لكم برغم أننى لم أقرأه جيدا فهو مكتوب بالإنجليزية وليس بالفرنسية.. فقال أحد الرجلين: إنه العقد المعتاد وهو مطبوع لأنه صيغة ثابتة لا نغيرها، لكن بمقدورنا إذا أردت أن نطلب لك ترجمة فرنسية فرد الحكيم على الفور لا داعى لكل ذلك فأنا أتعامل مع الأمم المتحدة ذاتها، فهل هناك ما يمكن أن يبعث على الثقة أكثر من ذلك؟

وأراد الحكيم أن يرحب بضيوفه، أو ربما أراد أن يحتفل بتوقيع العقد – فعزم عليهما (بكوكاكولا) قائلا: إن لدينا الآن (الكوكاكولا) الأصلية، فقد كنا فى سنوات الانفتاح بعد نهاية حرب أكتوبر وكانت (الكوكاكولا) قد عادت إلى مصر وكان سعرها فى ذلك الوقت

١٥ قرشـا للزجاجة، وأحسسـت أن الحكيم يريد فعلا أن يحتفـى بضيوفه، لكنى كنت أعرف أن الأجانب يحبون قهوتنا الشرقية والتى يسمونها القهوة التركى فقلت لهم إن لدينا أيضـا قهوة تركـى فرحبوا بذلك وطلب الاثنـان القهوة، وبعد أن أنتهـت الزيارة وذهب الضيفان قال لى الحكيم: لقد تذكرت الآن فقط أننى لم أعزم عليك بشـىء، قلت: لا يهم لوكنت أريد شـيئا لطلبته بلا تكليف فليس بيننا حسـاب، فرد قائلا: لا إن بيننا حسابا كبيرا فلك عندى عمولة يا أستاذ، قلت: عمولة ماذا؟.. قال: عمولة القهوة قلت: كيف؟.. قال: لقد عزمت أنا عليهم (بالكوكاكولا) وثمنها ١٥ قرشـا للزجاجة الواحدة أما أنت فقد عرضـت عليهما القهـوة وهى بـ ٥ قروش للفنجان، لذلك فبدلا مـن أن أعزم عليك بقهوة أو (كوكاكولا) سـأدعوك على الغداء فشكرت الأستاذ توفيق الحكيم وأيقنت أن كل ما يقال عن (بخله) غير صحيح، وقلت له: علىّ فقط أن أخطرهم فى تحرير الجريدة أننى سأذهب للغداء معك فقد يحتاجوننى، فقال بسرعة: لا أنا لا أقصد اليوم، إنما أى يوم آخر.

.. وقد توفى الحكيم بعد ذلك بسنوات، لكن ذلك اليوم الآخر لم يكن قد جاء بعد!!

❑❑❑

آرثر ميللر:
جورج بوش مجنون!

قابلت الكاتب المسرحى الكبير آرثر ميللر مرتين، فى المرة الأولى ذهبت أنا إليه فى أحد مسارح لندن، حيث كان يوقع نسخا من مذكراته التى كانت قد صدرت لتوها فى طبعتها البريطانية، وفى المرة الثانية تقابلنا مصادفة فى مطار هثرو بلندن، كنت أنا فى طريقى للعاصمة الكندية أوتاوا.. وكان هو عائدًا إلى الولايات المتحدة، فى المرة الأولى كان موضوع حديثنا هو مارلين مونرو وفى المرة الثانية كان الحديث عن جورج بوش.

كان المسرح الكبير فى لندن يقدم إحدى روائع مسرح الكاتب الأمريكى الكبير آرثر ميللر والذى يعتبره النقاد مع زميله تنسى وليامز أكبر كتّاب المسرح الأمريكى قاطبة، وقد اختار الناشر البريطانى لأعمال ميللر أن تجرى مراسم توقيع الكتاب الجديد فى بهو المسرح نفسه، أما الكتاب فكان مذكرات ميللر التى أسماها Time bends وهى كلمة غير موجودة بالقاموس وأغلب الظن أن ميللر هو الذى صاغها، وأقرب ترجمة لها بالعربية هى (انحناءات الزمن).

آرثر ميللر مع مارلين مونرو

قدمت نسختين من الكتاب للكاتب طويل القامة برغم العدد الهائل من المسرحيات التى كتبها والتى تحتل مكانا مميزا فى تاريخ المسرح العالمى، فقد ارتبط اسمه عند الكثيرين بأسطورة السينما الأمريكية مارلين مونرو الذى تزوجها فى نهاية حياتها القصيرة، لذا كان من الطبيعى أن أسأله عنها وعن قصة انتحارها التى ما زالت تحير العالم، أعطيت ميللر بطاقة عليها اسمى فكتبه على الصفحة الأولى من الكتاب ممهورا بإمضائه وسألنى عن نفسى فقلت إننى من مصر وإننى كاتب مسرحى مثله، وسألته إن كان وقته يسمح بلقاء منفرد، فأعطى لى موعدًا فى اليوم التالى فى الفندق الذى كان ينزل به حيث تحدثنا بداية عن المسرح وكان مهتما بأن يعرف عن المسرح فى مصر، وقد أخبرنى ميللر بعد ذلك بسنوات وفى مقابلتى الثانية معه كان حديثنا عن المسرح المصرى هو الذى شجعه بعدها لقبول دعوة لزيارة معهد الفنون المسرحية أثناء زيارة له للقاهرة لم أقابله فيها.

وبعد أن لف الحديث ودار حول موضوعات كثيرة استقر بطبيعة الحال عند مارلين مونرو التى قيل إن زواج ميللر منها كان وسيلته فى الانتصار على المجتمع الأمريكى الذى لفظته مؤسساته الرسمية فى أواسط القرن الماضى متهمة إياه بالشيوعية، فأراد أن يقول لهم: هاهى ذى معبودتكم التى قيل إن رئيس الجمهورية نفسه كان على علاقة بها وقد صارت لى!

كانت الولايات المتحدة فى أواسط الخمسينيات فى أشد فترات الحرب الباردة حساسية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكان كل من يبدى أى تعاطف مع أفكار العدالة الاجتماعية يعد شيوعيًا وتتم محاكمته عن طريق لجنة شكلها السناتور جوزيف مكارثى داخل مجلس الشيوخ، وقد مثل أمام هذه اللجنة عدد غير قليل من رجال الفكر والثقافة والفن والذين طلب منهم أن يقدموا أى معلومات تكون لديهم عن زملاء لهم يتعاطفون مع الفكر اليسارى نظير إخلاء ساحتهم، وكان يتم طرد هؤلاء من عملهم بدون أى سند قانونى.

ويعترف لى ميللر: لقد كنت شابًا فى الثلاثينيات من عمرى وكنت ثائرًا على الكثير من نواحى الحياة الأمريكية، لكنى لم أكن أبدًا شيوعيًا، ثم يوجه اتهامًا صريحًا يفشى به سرا خطيرا فيقول وفى عينيه نظرة أسى: لقد كان من بين من نقلوا مثل هذه المعلومات المخرج السينمائى والمسرحى الكبير إليا كازان الذى أدهشنى كثيرا بما تبرع به من معلومات عن زملاء لنا فى المجال الفنى أضيروا كثيرًا بسبب شهادته هذه!

وأسأل آرثر ميللر سؤالا مباشرا: هل انتحرت مارلين مونرو أو قتلت؟ فيصمت قليلاً وكأنه يبحث عن إجابة للسؤال ثم يقول: لقد قتلها نفس المجتمع الذى حاكمنى

مستخدما فى قتلها إرادتها الشخصية، ثم ينظر إلىّ نظرة ثاقبة محاولة معرفة إن كنت قد فهمت قصده، ثم يقول: لقد انتحرت مارلين بيديها، ما هناك شك فى هذا، لكن الذى أوصلها إلى مرحلة الانتحار هو المجتمع المادى الذى استغلها أسوأ استغلال، والذى لم يلق بالا لآدميتها، وكان هذا الاستغلال ابتداء من شركات الإنتاج السينمائى وحتى الرئيس الأمريكى.

وترددت قليلا فى توجيه السؤال التالى لكنى قلت لنفسى مادام قد طرح الموضوع بنفسه فلأكمله، قلت: هل كانت حقًا على صلة بالرئيس السابق جون كنيدى؟

قال: إن مجرد ترويج هذا الموضوع فيه استغلال مهين لها، لقد كانت مارلين إنسانة حساسة إلى أبعد درجة، لكنى لم أعرف أحدا تعرض لهذا القدر من الأذى على مدى العمر مثلها، لقد علمها هذا المجتمع المادى القاسى أن قيمتها الوحيدة فى جسدها. وقد حاولت فى النهاية أن تنمى وجدانها وعقلها.. لكنها فشلت لأن الوقت كان قد تأخر فتأكد لها كل ما كان المجتمع يقوله لها وهو ما لم تستطع تحمله.

وتشجعت أكثر فقلت: ألم يكن زواجها منك والمقارنة بين مستوى كل منكما الفكرى والثقافى أكثر ما أكد لها هذا الفشل؟

قال: لقد كنت عونا لها فيما كانت تريد تحقيقه فى المرحلة الأخيرة من حياتها لكن الظروف فى بعض الأحيان تكون أقوى من إرادة الإنسان.

كان ذلك فى عام ١٩٨٧م، ومضت ١٥ عامًا كاملة، وفى عام ٢٠٠٢م كنت مدعوا كضيف شرف صالون الكتاب بمونتريال، وفى قاعة كبار الزوار ما بين موعد هبوط طائرة مصر للطيران التى أقلتنى من القاهرة وإقلاع الطائرة الكندية التى كانت ستقلنى إلى العاصمة أوتاوا، جلست مع بعض الصحف أطالعها إلى أن سألنى رجل طويل القامة يلبس نظارة طبية إن كان المقعد الذى بجوارى شاغرا، رفعت إليه رأسى وقلت: اتفضل، فإذا به آرثر ميللر، تركت الصحيفة التى كنت أقرؤها وعرفته بنفسى مذكرا إياه بمقابلتنا الأولى التى تحدثنا فيها عن المكارثية وعن مارلين مونرو، فقال: إن مارلين قد مضت إلى حيث سنمضى جميعا، لكن المكارثية – على ما يبدو – مازالت معنا اليوم كما كانت فى الخمسينيات.

كانت الولايات المتحدة قد انتقلت إلى رئاسة جورج بوش الابن وبدأت غزوها لأفغانستان ثم حرب العراق وسادت البلاد روح من التوجس والشك وصدر قانون الوطنية

patriotic Act الـذى يعطـى للأجهزة الأمنيـة فى الولايات المتحدة سـلطات غير محدودة فيسمح لها بإلقاء القبض على المواطنين وعلى الأجانب بدون تحقيق.

قـال ميللر: لقـد اعتبر البعض المكارثية نزعة طارئة علـى الفكر الأمريكى الذى يؤمن بالحرية والديمقراطية، لكن أحداث السنة الماضية تجعل المرء يعيد النظر فى مدى تأصل المكارثية فى التفكير الأمريكى، لقد تغيرت التهمة الآن وبعد نصف قرن من الزمان لتصبح هى الإرهاب بدلاً من الشـيوعية وليتهم بها كل من هو عربى أو مسلم، فيساق إلى السجن دون اتهام ودون السماح له باللجوء لمحام.

ثم أصلح ميللر وضع نظارته الطبية على عينيه ولاحظت أن الشـيب قد أتى على رأسه تماما بعد أن تساقط الكثير من شعره، وسألته: كيف تبرر ما يحدث الآن؟

قـال: ما يحـدث الآن لا يمكن تبريـره، لقد كان مكارثى نائبا بمجلس الشـيوخ لكن الجنـون هذه المرة تعدى الكونجـرس ليصل إلى البيت الأبيـض، وحين يصاب الرئيس الأمريكى بالجنون يصبح العالم كله فى خطر.

❑❑❑